
WANTED
مطلوب
توني بلير
المندوب السامي البريطاني السري
إعادة تشكيل الشرق الأوسط تحت غطاء الاستشارات الحديثة
بقلم د. سعد جبر

توني بلير

المندوب السامي البريطاني السري

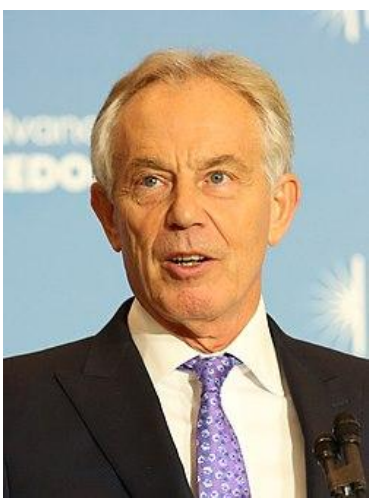
Tony Blair

The Secret British High Commissioner

إعادة تشكيل الشرق الأوسط تحت غطاء الاستشارات الحديثة

....

تعريف مختصر بشخصية الكتاب



توني بلير (بالإنجليزية: Tony Blair) (6 مايو 1953 -)، رئيس وزراء المملكة المتحدة من عام 1997 إلى عام 2007 وذلك لثلاث فترات رئاسية متتالية، كما رأس حزب العمال منذ عام 1994 ولغاية 2007. عندما تولى الحكم في 2 مايو 1997 لم يكن قد أكمل عامه الرابع والأربعين (*أكمله يوم 6 مايو 1997*)، وهو بذلك أصغر من تولى منصب رئيس الوزراء منذ عهد روبرت جنكنسون الذي تولى الحكم عام 1812، وفي مايو 2010 حطم ديفيد كاميرون رقمه لأنه كان أصغر من سن الرابعة والأربعين بعدة أشهر عندما تولى منصب رئيس الوزراء. شغل أيضاً عدة مناصب منها اللورد الأول للخزنة، ووزير الخدمة الشعبية، وعضو البرلمان البريطاني لمنطقة سيجفيلد في شمال شرق إنكلترا.

ولد بلير في إدنبرة، كان والده ليو محاميًا بالقضاء العالي وأكاديميًا. بعد التحاقه بكلية فيتس المستقلة، درس القانون في كلية سانت جونز، أكسفورد، وأصبح محاميًا بالقضاء العالي. انخرط في السياسة العمالية وانتخب عضوًا في البرلمان عن سيجفيلد في عام 1983. أيد نقل الحزب إلى مركز السياسة البريطانية في محاولة لمساعدته على الفوز بالسلطة (كان الحزب خارج الحكومة منذ عام 1979). وعين في الجبهة الأمامية للحزب في عام 1988 وأصبح وزير الداخلية في حكومة الظل عام 1992. أصبح زعيم المعارضة بعد انتخابه زعيمًا لحزب العمال في عام 1994، بعد الموت المفاجئ لسلفه، جون سميث.

المحتويات

المقدمة: ظل الإمبراطورية الذي لم يغب

- افتتاحية قوية تربط بين صورة المندوب السامي البريطاني في العصر الاستعماري، الذي كان يحكم من خلف الكواليس ويتحكم بمصائر الدول، وصورة المستشار الأمني الحديث الذي يرتاد القصور الرئاسية في العواصم العربية.
- طرح الفرضية الأساسية: هل توني بلير هو تجسيد حديث لـ "النفوذ البريطاني" الذي تحول من الاستعمار المباشر إلى الاستعمار عبر "النخب" و"الاستشاريين"؟
- لمحة عن محتوى الكتاب والمنهجية التحليلية التي سيعتمد عليها (ربط الوقائع التاريخية بالأحداث المعاصرة، تحليل الخطاب، كشف شبكات المصالح).

الفصل الأول: الإرث الثقيل: المندوب السامي البريطاني من التاريخ إلى الذاكرة

- لمحة تاريخية موجزة ولكنها مركزة عن دور "المندوب السامي" البريطاني في المستعمرات، خاصة في الدول العربية.
- صلاحياته: الحكم الفعلي، تشكيل الأنظمة السياسية، رسم الحدود، إدارة الاقتصاد لصالح التاج البريطاني.
- كيف كان يمثل ذروة النفوذ الاستعماري المباشر.

الفصل الثاني: توني بلير: رحلة رئيس الوزراء من داونينج ستريت إلى عالم الاستشارات

- تحليل مسيرة بلير السياسية: صعوده، "نيو لابور"، ومشروعه السياسي.
- أهم مصائبه في العالم العربي والإسلامي:

1. غزو العراق 2003 :الذروة الكبرى. تحليل دور بلير المركزي، تبرير الحرب بأساليب مضللة (أسلحة الدمار الشامل)، والتداعيات الكارثية على العراق والمنطقة (التفكيك الطائفي، صعود التنظيمات المتطرفة).
2. الحرب على أفغانستان.
3. دوره في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية (رباعية الدبلوماسية) :تحليل تحيزه الواضح لصالح إسرائيل وتأثيره على مصداقية الوساطة الدولية.

- كيف شكلت هذه الأحداث نظرته للمنطقة وحولته إلى شخصية مكروهة على نطاق واسع، ولكنها في نفس الوقت ذات "قيمة" لمن يريدون التعامل مع مراكز الق الغربي.

الفصل الثالث: تحول الإمبراطورية: من الكومنولث إلى التبعية الأمريكية

- تحليل تحول بريطانيا من قوة استعمارية عظمى إلى "شريك junior" للولايات المتحدة (العلاقة الخاصة)، خاصة بعد حرب السويس 1956.
- دور توني بلير في ترسيخ هذه التبعية: كان الجناح الأوروبي الأقوى للسياسة الأمريكية خلال حرب العراق.
- تدهور المكانة العالمية لبريطانيا بعد عهد بلير: الخروج من الاتحاد الأوروبي (البريكست) كعلامة على التقلص والبحث عن دور.
- السؤال: إذا لم تعد بريطانيا إمبراطورة بنفسها، فهل يعمل رموزها كوكلاء لنفوذ آخر (أمريكي) أو كنخبة تحاول الحفاظ على تأثير متبقٍ؟

الفصل الرابع: المستشار السامي: الوجه الحديث للنفوذ

- تحليل ظاهرة "المستشارين الغربيين" في العالم العربي:
    - من هم؟ (غالباً سياسيون سابقون، رجال استخبارات، أكاديميون).
    - لماذا تستقدمهم الحكومات؟ (الشرعية الدولية، الوصول إلى شبكات النفوذ، الخبرة التقنية – أو الظاهر منها).
    - ما الثمن؟ (التأثير على السيادة الوطنية، توجيه السياسات لخدمة أجندات خارجية، "غسل" الصورة).

- التركيز على دول الخليج بشكل خاص كلاعب رئيسي في هذه السوق.

الفصل الخامس: توني بلير المستشار: تفكيك الشبكة

- تحليل دوره المعلن والمخفي:
  - الدول العربية التي عمل معها :الإمارات، السعودية، الكويت (يجب البحث والتوثيق من مصادر مثل "التايمز"، "فايننشال تايمز"، موقع "معهد توني بلير للتغيير العالمي").
  - طبيعة المشورة :يُقال إنها تتعلق بـ "الإصلاح الاقتصادي"، "التنمية"، "مكافحة التطرف". ولكن الكتاب سيفكك هذا الخطاب:
    - هل "مكافحة التطرف" تعني قمع المعارضة تحت هذه الذريعة؟
    - هل "الإصلاح الاقتصادي" يعني فتح الأسواق لمصالح غربية؟
  - الفرضية :دوره يتجاوز تقديم "نصائح" إلى كونه قناة اتصال غير رسمية بين هذه الحكومات ومراكز القوى في لندن وواشنطن، وشبكة للتأثير على السياسات الداخلية والخارجية لهذه الدول لصالح رؤية غربية (أو أنجلو-أمريكية) للمنطقة.
  - الأجر :كم يتقاضى؟ ومن أين؟ (تحليل التقارير المالية للمعهد الخاص به).

الفصل السادس: خطورة الظاهرة: الاستشاريون الغربيون وسرقة القرار السيادي

- توسيع نطاق التحليل beyond بلير إلى الظاهرة ككل.
- كيف يساهم هؤلاء المستشارون في:
  - إضعاف المؤسسات الوطنية والكفاءات المحلية.
  - تحويل السياسات إلى "منتجات" جاهزة مستوردة من الخارج لا تناسب البيئة المحلية.
  - تحصين الأنظمة ضد المطالب الشعبية للإصلاح تحت ذريعة "الاستقرار" و"مكافحة الإرهاب" كما تُعرّف من الخارج.
  - استنزاف الموارد المالية للدول مقابل خدمات غامضة القيمة.

الخاتمة: من المندوب السامي إلى المستشار السامي: الاستعمار بلغة جديدة

- إعادة ربط الخيوط: كيف أن نموذج توني بلير هو استمرار للظاهرة الاستعمارية ولكن بأدوات العصر (العولمة، رأس المال، شبكات النفوذ) بدلاً من الجيوش والاحتلال المباشر.
- هل هو "مندوب سام" بريطاني؟ ربما هو أكثر من ذلك: هو "مندوب سام" للنموذج الليبرالي-الإمبريالي الغربي الذي تجسده واشنطن ولندن معاً.
- التكهن بالمستقبل: ماذا يعني استمرار هذه الظاهرة لمستقبل السيادة العربية والقرار الوطني.

الملاحق:

1. جدول زمني يربط بين أحداث مهمة في حياة بلير والتاريخ البريطاني والعربي.
2. قائمة بمقابلات أو تصريحات لبلير حول العالم العربي.
3. وثائق مهمة (مثل تقرير تشيلكوت حول حرب العراق).
4. شبكة المصالح: رسم بياني مبسط يوضح العلاقات بين معهد بلير، الحكومات العربية، ومراكز القوى الغربية.

المقدمة

ظل الإمبراطورية الذي لم يغب

كان المندوب السامي البريطاني، في ذروة المجد الإمبراطوري، صورةً تثير الرهبة والخوف. كان رجل الظل الذي يحكم من قصر مموّه بالرخام، يصدر الأوامر من خلف كواليس السلطة المحلية، يرسم الحدود، يعين الحكام ويعزلهم، ويوجه مصائر دول بأكملها لخدمة وتيرة التاج البريطاني. كانت قوته ناعمةً أحياناً وقهريّةً في أغلب الأحيان، لكنها كانت دائماً المحدد الأساسي للسيادة الحقيقية في المستعمرات.

بعد عقود من الانزياح الظاهري للإمبراطورية عن المشرق العربي، ها هو ذا ظلّها الطويل يعود، لكن بلباس العصر. لم يعد الحاكم البريطاني يرتدي الزي الرسمي ويحمل مظلة، بل صار يرتدي بذلة أرماني باهظة الثمن ويحمل حقيبةً من جلد يدوي، ويقدم نفسه تحت العنوان البرّاق: "مستشار". إنه توني بلير، رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، عراب "مشروع الشرق الأوسط الجديد" الدموي، الذي وجد لنفسه مهنةً جديدةً: مستشاراً أمنياً واقتصادياً لبعض أثرى الحكومات في تلك المنطقة التي ساهم هو نفسه في تفكيكها.

عزيزي القاري السياسي : إنني أتساءل في هذا الكتاب : أليس هذا "المستشار" هو في حقيقته تجسيداً حديثاً ومُحدّثاً لدور "المندوب السامي" البريطاني؟ أليس تحوله من قيادة الإمبراطورية من مقر رئاسة الوزراء في داونينغ ستريت إلى تقديم "النصح" في قصور الرياض وأبوظبي والكويت، إلا استمراراً لنفس المشروع الاستعماري، لكن بأدوات أكثر دهاءً؟ إذا كان الاستعمار القديم قد اعتمد على الجيوش والاحتلال المباشر، فإن شكله الجديد يعتمد على "استعمار النخب" عبر شبكات من المستشارين واللوبيات ومراكز الأبحاث، الذين يتحكمون بالقرار من داخل غرف العمليات في القصور، مُحققين لأجندات خارجية تحت غطاء من الخبرة التقنية والشرعية الدولية.

يهدف هذا الكتاب إلى تفكيك هذه الظاهرة عبر عدسة حالة توني بلير، الأكثر رمزية وإثارة للجدل. سنسلك منهجيةً تحليليةً تربط بشدة بين الوقائع التاريخية للإمبراطورية البريطانية والممارسات المعاصرة لوريثها الرمزي. سنحلل خطاب "الإصلاح" و"مكافحة التطرف" الذي يبيعه بلير، لنكشف ما قد يكون مخفياً تحته من ضمانٍ لاستمرارية الهيمنة. سنحاول كشف شبكات المصالح التي تربط معهده، حكومات الخليج، ومراكز القوى في لندن وواشنطن.

نحن أمام محاولة لفهم كيف يعاد تدوير النفوذ الاستعماري في عصر العولمة، وكيف تُسرق السيادة الوطنية ليس بالدبابات، بل بعقود الاستشارات باهظة الثمن. هذه رحلة في دهاليز السلطة حيث يلتقي الماضي بالحاضر، ويتحول ظل الإمبراطورية الذي رحلَ ظاهرياً إلى مستشار سامٍّ يدخل من الباب الأمامي.

الفصل الأول

• الإرث **الثقيل: المندوب السامي البريطاني من التاريخ إلى الذاكرة**

"إن سلطة المندوب السامي البريطاني لم تكن تُستمد من أي تفويض محلي، بل من قوة الإمبراطورية التي يمثلها. كان هو الحاكم الفعلي، حتى وإن وقف خلف عرش ملك أو أمير محلي؛ كان خيوط الدمى التي تتحكم بمصير الأمم." - من مذكرات السير غيلبرت كلايتون، الضابط الاستخباراتي البريطاني في الشرق الأوسط.

للفهم المعاصر لدور مثل توني بلير، يجب أولاً الغوص في الأصل التاريخي الذي يستدعيه عنوان هذا الكتاب: "المندوب السامي البريطاني .(British High Commissioner) "لم يكن هذا اللقب مجرد منصب دبلوماسي رفيع، بل كان التجسيد المادي والمؤسسي للإرادة الإمبريالية البريطانية في مستعمراتها ومحمياتها. لقد كان الرجل الأكثر قوة ونفوذاً في البلاد، حاكماً بأمر واقع، مهندساً للسياسات، ومشرفاً على تحصيل الثروات، كل ذلك تحت مظلة من الادعاء بنشر "الحضارة" و"الإدارة الحديثة."

في المنطقة العربية، بلغت هذه الظاهرة ذروتها في دول المشرق ومصر ودول الخليج. ففي **مصر**، التي كانت تحت الاحتلال البريطاني الفعلي منذ 1882، كان القنصل العام البريطاني (وهو لقب مكافئ لوظيفة المندوب السامي) هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة. لقد لخص اللورد إيفلين بارينغ، المعروف بلقب **اللورد كرومر** (Evelyn Baring, Lord Cromer)والذي حكم مصر من 1883 إلى 1907، جوهر هذه السلطة بقوله: "إن المصريين غير قادرين على حكم أنفسهم"، مبرراً بذلك استمرار الهيمنة البريطانية المطلقة. لم يكن دوره مقتصراً على الإشراف على ديون مصر فحسب، بل امتد ليعين الوزراء ويقيلهم، ويوجه السياسة التعليمية والاقتصادية، ويقمع أي بادرة للمقاومة الوطنية، كل ذلك تحت شعار "التقدم" و"الإصلاح" الذي كان في جوهره يخدم المصالح الاقتصادية والاستراتيجية للإمبراطورية.[1]

أما في **العراق** و**الأردن**، التي خضعتا للانتداب البريطاني بعد سقوط الدولة العثمانية، مارس المندوب السامي سلطةً شبه مطلقة. السير **بيرسي كوكس** (Percy Cox)في العراق، الملقب بـ "أبو العراق الحديث"، كان هو من نصب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق عام 1921، وهو من قام برسم الحدود الأولى للدولة الناشئة، وهو من قمع الثورات ضد الحكم البريطاني. لقد كان "صانع الملوك (Kingmaker) "بامتياز، حيث كانت الولاءات تُقاس بمدى الطاعة لسياسات لندن، وليس لمصالح الشعب العراقي.[2]

لم تكن دول الخليج بمنأى عن هذا النموذج. ففي **الكويت** و**البحرين** و**دولة الإمارات المتصالحة** (Trucial States)، كان "المقيم السياسي" البريطاني في الخليج، الذي كان مقره

في **بوشهر** ثم **البحرين**، يمارس دور المندوب السامي. كان هو الحكم في النزاعات بين المشيخات، وهو من يمنح الحماية ويستمد في المقابل السيطرة على الشؤون الخارجية وحتى الكثير من الشؤون الداخلية لتلك الكيانات. لقد ضمنت هذه المعاهدات هيمنة بريطانيا على طرق التجارة وحقول النفط الناشئة، مع الحفاظ على هيكل السلطة التقليدي طالما أنه يخضع للإشراف البريطاني.[3]

كانت الأدوات واحدة :**السيطرة على الاقتصاد**)من خلال الديون أو الموارد(، **السيطرة على الأمن** (من خلال المستشارين العسكريين والقواعد)، و**السيطرة على القرار السياسي** (من خلال التعيينات والعزل والوصاية على الحكام المحليين). كان الخطاب الرسمي دائماً يركز على "الإدارة الكفؤة" و"الحكمة" البريطانية و"عدم نضج" الشعوب المحلية للحكم الذاتي، وهو خطاب كان يخفي وراءه نهباً منهجياً للثروات وفرضاً لإرادة خارجية.

هذا الإرث الثقيل هو الإطار الذي لا يمكن فهم دور توني بلير المعاصر بدونه. فهل يستمر اليوم نفس النموذج، ولكن بلغة مختلفة ووسائل أكثر عصرية؟ هذا ما ستفككه فصول هذا الكتاب.

المراجع الأولية للاستزادة (يجب الرجوع إليها للتوثيق النهائي):

[1] Owen, Roger. *Lord Cromer: Victorian Imperialist, Edwardian Proconsul*. Oxford University Press, 2004.
(يروجن أوين. اللورد كرومر: إمبريالي فكتوري، حاكم إدواردي).

[2] Dodge, Toby. *Inventing Iraq: The Failure of Nation-Building and a History Denied*. Columbia University Press, 2003.
(توبي دودج. اختراع العراق: فشل بناء الأمة وتاريخ مُنكر).

[3] Onley, James. *The Arabian Frontier of the British Raj: Merchants, Rulers, and the British in the Nineteenth-Century Gulf*. Oxford University Press, 2007.
(جيمس أونلي. الحدود العربية للراج البريطاني: التجار والحكام والبريطانيون في الخليج في القرن التاسع عشر) .

[4] Fieldhouse, D.K. *Western Imperialism in the Middle East 1914-1958*. Oxford University Press, 2006.
(د.ك. فيلدهاوس. الاستعمار الغربي في الشرق الأوسط 1914-1958) .

- **صلاحياته**

الحكم الفعلي، تشكيل الأنظمة السياسية، رسم الحدود، إدارة الاقتصاد لصالح التاج البريطاني.

لم تكن صلاحيات المندوب السامي مجرد صلاحيات دبلوماسية أو إشرافية، بل كانت صلاحيات حاكم مطلق، تعلو فوق سيادة الدول التي يعمل على أراضيها. يمكن تلخيص هذه الصلاحيات الهائلة في أربع دوائر رئيسية شكلت معاً هيكل الهيمنة الاستعمارية البريطانية:

.1الحكم الفعلي (الحاكم الخفي):

لم يكن المندوب السامي مجرد مستشار. ففي المحميات والمناطق الخاضعة للانتداب، كانت أوامره هي القانون النافذ. كان يستطيع إقالة حكام محليين، أو تنصيب آخرين أكثر طاعةً. كانت القوات المسلحة والأجهزة الأمنية المحلية، وإن كانت تحمل أسماءً محلية، تخضع في قيادتها وتحركاتها الاستراتيجية لموافقة الضباط والمستشارين البريطانيين الذين كان المندوب السامي يشرف عليهم مباشرة. كانت سلطته، في الممارسة العملية، تفوق سلطة أي حاكم أو ملك محلي، حيث كان يمثل القوة المانحة للشرعية والمستعدة لسحبها في أي لحظة.

.2تشكيل الأنظمة السياسية (صانع الدول):

لعب المندوبون الساميون دوراً تأسيسياً في تشكيل الأنظمة السياسية للدول الناشئة.

فالسير **بيرسي كوكس** هو من قام بتأسيس النظام الملكي في العراق ونصب فيصل الأول ملكاً عليه، كما أشرف على صياغة الدستور الأول والانتخابات التي كانت تهدف إلى إضفاء شرعية شكلية على نظام موالٍ تماماً لبريطانيا. وبالمثل، كان الضباط السياسيون البريطانيون هم من رسموا معالم أنظمة الحكم في إمارات الخليج، محافظين على البنى القبلية التقليدية طالما أنها ضمنت الاستقرار وخدمت المصالح البريطانية، وقامعين أي تحول ديمقراطي حقيقي من شأنه أن يهدد تلك المصالح.

.3 رسم الحدود (تقطيع أوصال الجغرافيا):

لعل أحد أكثر الموروثات ديمومة وكارثية للمفوضين السامين البريطانيين هو دورهم في رسم حدود الشرق الأوسط الحديث بشكل تعسفي. فمع وجود حاكم على الخريطة وقلة مراعاة للواقع العرقي أو الطائفي أو القبلي، قام رجال مثل السير مارك سايكس وفرانسوا جورج بيكو (في اتفاقيتهما سيئة السمعة)، ولاحقًا بيرسي كوكس وجيرترود بيل على أرض الواقع، بتقسيم المنطقة إلى مناطق نفوذ ودول ناشئة. حُددت حدود العراق والكويت والأردن ودول الخليج إلى حد كبير بالمصالح الاستراتيجية البريطانية (مثل السيطرة على موارد النفط وممرات الشحن) وسياسة "فرّق تسد"، مما أدى إلى خلق كيانات مصطنعة محفوفة بالتوترات الداخلية التي ابتليت بها المنطقة حتى يومنا هذا.

على سبيل المثال، كان إنشاء الكويت ككيان منفصل عن العراق استراتيجية بريطانية مدروسة لمنع ظهور قوة قوية وموحدة في الخليج ولضمان وجود دولة تابعة.

.4إدارة الاقتصاد لصالح التاج البريطاني (استنزاف الثروة):
كان الهدف الاقتصادي هو جوهر المشروع الاستعماري. قام المندوب السامي بإدارة الاقتصاد المحلي ليكون مكملاً للاقتصاد البريطاني، وليس منافساً له. في مصر، أشرف اللورد كرومر على تحويل مساحات شاسعة من الأراضي لزراعة القطن لتغذية الصناعات النسيجية في لانكشير، على حساب الزراعة الغذائية المحلية التي أدى إهمالها إلى المجاعات. وفي العراق والخلج، حصلت الشركات البريطانية (مثل شركة النفط الإنجليزية-الإيرانية "بريتش بتروليوم") على امتيازات حصرية لاستغلال النفط بشروط مجحفة، بينما كانت العوائد المالية المحدودة تذهب إلى خزائن الحكام المتعاونين أو لسداد الديون للخزينة البريطانية. كان الاقتصاد يُصمم ليكون أحادي الجانب، معتمداً على تصدير مادة خام واحدة، مما جعل هذه الدول تابعةً بشكل دائم للسوق البريطانية والعالمية.

خلاصة القول، أن صلاحيات المندوب السامي كانت شاملةً ومطلقة، غطت كل جانب من جوانب بناء الدولة الحديثة، لكنها بنتها لخدمة مشروع إمبراطوري، وليس مشروعاً وطنياً. هذه الصلاحيات هي التي تركت ندوباً عميقة في جسد المنطقة، وهي نفسها الصلاحيات التي يُتَّهم مستشارو العصر الحديث، مثل توني بلير، بالسعي لامتلاكها، وإن كان ذلك بلغة العولمة واقتصاد السوق واتفاقيات الاستشارات.

• :ذروة النفوذ الاستعماري: المندوب السامي كتجسيد للإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس

لم يكن المندوب السامي مجرد موظف كبير، بل كان التجسيد الحي والنهائي لعظمة الإمبراطورية البريطانية التي بلغت أوج اتساعها وقوتها. كان وجوده في عاصمة مستعمرة ما بمثابة تذكير دائم بأن مركز القرار الحقيقي يقع على بعد آلاف الأميال، في Whitehall بلندن. لقد مثّل ذروة النفوذ الاستعماري **المباشر** –ذلك النموذج الذي لم يخفِ هيمنته خلف دبلوماسية متعددة الأطراف أو شركات متعددة الجنسيات، بل أعلنها صراحة: "نحن هنا، ونحن من نحكم."

كانت قوة المندوب السامي تستند إلى ثلاثة أركان جعلتها مطلقة وغير قابلة للطعن:

.1التفويض الإمبراطوري المطلق:(The Imperial Mandate)

كانت سلطته مستمدة من الإمبراطورية وحدها، وليس من أي شرعية محلية. ففي مصر، كان **اللورد كرومر** يقدم تقاريره مباشرة إلى وزارة الخارجية في لندن، وليس إلى الخديوي. لقد كتب في مذكراته: "إن المصري إما أن يُحكَم أو يُترَك لوحده، وفي الحالة الثانية سيعود إلى الفوضى والبربرية التي كان عليها من قبل" [1]. هذا الاستعلاء العنصري (Paternalism) لم يكن مجرد رأي شخصي، بل كان الأساس الأيديولوجي الذي شرعن احتلاله المطلق للسلطة. كان يمثل ذروة ثقة البريطانيين بـ "عبء الرجل الأبيض (The White Man's Burden) "وواجبهم في "حضارة" العالم.

2.احتكار العنف الشرعي:(Monopoly on Violence)

كان المندوب السامي هو الحاكم الأعلى للقوات المسلحة. ففي العراق، قمع **السير بيرسي كوكس** ومساعدته **غيرترود بيل** الثورات العربية والكردية ضد الحكم البريطاني بعنف شديد، مستخدمين الطائرات الحديثة في قصف القبائل المتمردة، وهو tactic صادم ومبكر لحروب القرن العشرين [2]. كان بإمكانه إعلان الأحكام العرفية، وتشكيل المحاكم الخاصة، ونفي المعارضين دون محاكمة. كان يملك مفتاح القوة، وكان على الجميع أن يروا هذا المفتاح ويخشوه.

3.مركزية صنع القرار:(Centralized Decision-Making)

لم تكن هناك سياسة خارجية أو داخلية أو اقتصادية تخرج عن نطاق نظره. كان هو الحلقة الوحيدة والضرورية بين المستعمرة والمتروبول (المركز الإمبراطوري). على سبيل المثال، قرار فصل الكويت عن العراق وإعلانها "مشيخة مستقلة" تحت الحماية البريطانية في عام ١٩١٣ لم يكن نتاج رغبة شعبية أو حتى قرار من شيخ الكويت بمفرده، بل كان **استراتيجية بريطانية بحتة** صممها المندوب السامي في الخليج بالتشاور مع لندن، بهدف إضعاف البصرة كمنافس تجاري وخلق كيان ضعيف ومعتمد على بريطانيا لحماية آبار النفط المستقبلية وطرق الملاحة [3]. كان المندوب هو العقل المدبر الذي يحول الاستراتيجية الإمبريالية إلى واقع ملموس على الأرض.

لقد كان المندوب السامي، therefore, the ultimate embodiment of what historians call **"The Imperial Project."** كان حلقة الوصل التي حولت الطموحات العالمية لبريطانيا إلى حقائق جيوسياسية. وجوده كان دليلاً على أن الإمبراطورية لم تكن فكرة مجردة، بل كانت نظاماً هرمياً صارماً، برأس في لندن وأذرع ممتدة في كل عاصمة مستعمرة، تتحكم بمصائر الملايين من خلف مكاتب فخمة كانت، في حقيقتها، أقفاصاً ذهبية للسيادة الوطنية.

:المراجع الأساسية للاستزادة (يجب الرجوع إليها للتوثيق النهائي)

[1] Cromer, Earl of. *Modern Egypt*. Macmillan, 1908. (اللورد كرومر. مصر الحديثة).
(يعد هذا الكتاب من أهم المصادر المباشرة حيث يقدم كرومر فيه تبريره الأيديولوجي للحكم البريطاني في مصر).

[2] Townsend, John. *Proconsul to the Middle East: Sir Percy Cox and the End of Empire*. I.B. Tauris, 2010.
(جون تاونسند. الحاكم البريطاني للشرق الأوسط: السير بيرسي كوكس ونهاية الإمبراطورية).
(يسلط هذا الكتاب الضوء على الدور العسكري والسياسي المطلق لكوكس في تشكيل العراق).

[3] Anscombe, Frederick F. *The Ottoman Gulf: The Creation of Kuwait, Saudi Arabia, and Qatar*. Columbia University Press, 1997.
(فريدريك أنسكومب. الخليج العثماني: نشأة الكويت والسعودية وقطر).
(يشرح هذا الكتاب بالتفصيل الدور البريطاني المركزي في فصل الكويت وتفتيت المنطقة لخدمة المصالح الجيوسياسية البريطانية).

[4] Darwin, John. *The Empire Project: The Rise and Fall of the British World-System, 1830–1970*. Cambridge University Press, 2009.
(جون داروين. مشروع الإمبراطورية: صعود وسقوط النظام العالمي البريطاني).
(يقدم هذا المرجع إطاراً نظرياً شاملاً لفكرة "المشروع الإمبراطوري" البريطاني ودور الشخصيات مثل المندوبين الساميين في تنفيذه).

الفصل الثاني

توني بلير

رحلة رئيس الوزراء من داونينج ستريت إلى عالم الاستشارات

المبحث الأول: صعود نجم "نيو لابور" ومشروع التحديث الثالث

قبل أن يصبح "المستشار السامي" الذي نتناوله في هذا الكتاب، كان توني بلير الظاهرة السياسية الأكثر لمعاناً وإثارة للجدل في بريطانيا نهاية القرن العشرين. لم يكن صعوده مجرد تغيير طبيعي للحكومة، بل كان تمثيلاً لـ "ثورة" سياسية وثقافية هادفة أعادت تعريف معنى اليسار في العالم الغربي تحت شعار **"نيو لابور.(New Labour) "**

1. **صعوده: سياسي الجيل الجديد:**

انطلق بلير من خلفية غير تقليدية لحزب العمال؛ محامٍ منOxford ، متزوج من امرأة ذات قناعات محافظة، وكاريزمي بابتسامة مصقولة ولهجة واثقة. انتخب نائباً عام 1983، في ذروة انقسام حزب العمال وهزيمته الساحقة على يد مارغريت تاتشر. رأى بلير وزملاؤه، وعلى رأسهم **غوردون براون** و**بيتر مانديلسون**، أن الحزب يعيش في ماضٍ اشتراكي لم يعد موجوداً. لقد فهموا أن الفوز

بالسلطة يمر عبر استرضاء "إنجلترا الوسطى – (Middle England) "الناخبين من الطبقة المتوسطة الذين استفادوا من خصخصة تاتشر وخافوا من برامج اليسار التقليدية الضريبية.

" .2نيو لابور": القطيعة الأيديولوجية:

في عام 1994، أصبح بلير زعيمًا لحزب العمال، وبدأ على الفور عملية "التحديث" الجذري. كان جوهر مشروع "نيو لابور" هو **التخلي الرسمي عن المبادئ الاشتراكية الأساسية** للحزب لصالح تبني **الليبرالية الجديدة (Neoliberalism)** بوجه إنساني. تم تجسيد هذه القطيعة بشكل دراماتيكي في **1995**، عندما نجح بلير في إقناع الحزب بإلغاء **البند الرابع (Clause IV)** من دستور الحزب، الذي كان ينص على "التأميم الشامل لوسائل الإنتاج"، وهو ما كان يعتبر روح الهوية الاشتراكية للعمال منذ 1918. لم يكن هذا تغييراً تكتيكياً بل هوية جديدة: لم يعد الحزب حزباً طبقياً، بل أصبح "حزباً شعبياً" يتبنى اقتصاد السوق بحماس، مع وعد بإعادة توزيع ثرواته عبر خدمات عامة مُموَّلة بشكل أفضل.

.3المشروع السياسي: "طريق ثالث!"

روج بلير لـ "الطريق الثالث – (The Third Way) "وهو مصطلح فضفاض يزعم أنه يتجاوز الاشتراكية القديمة والمحافظة الليبرالية المتطرفة. في الممارسة العملية.

- **في الاقتصاد :**احتضان العولمة وخصخصة الخدمات) مثل نظام الـ PFIلتمويل المشاريع العامة بالدين الخاص(، والانضباط المالي الصارم، وتفكيك القيود على الأسواق المالية. لقد قبل بلير بتراث " تاتشر" الاقتصادي وقام بتحسينه بلمسات اجتماعية.
- **في الحكم :**مركزية السلطة في مكتب رئيس الوزراء) وهو ما عُرف بـ "حكومة sofa government")، والتركيز الهوس على "التحديث" و"الكفاءة" والتغلب على البيروقراطية.
- **في السياسة الخارجية :**تبني عقيدة **"التدخل الدولي الإنساني** (Liberal " Interventionism).آمن بلير بأن بريطانيا لها دور أخلاقي في نشر "القيم الغربية" (الديمقراطية، حقوق الإنسان) في العالم، حتى لو تطلب ذلك استخدام القوة العسكرية. كانت بذور حربي كوسوفو والعراق قد زرعت هنا.

انتصار بلير الساحق في انتخابات **1997**، الذي أنهى 18 عاماً من حكم المحافظين، كان تتويجاً لهذه الاستراتيجية. لقد قدم نفسه كوجه جديد وجذاب لبريطانيا "حديثة" و"ديناميكية" و"واثقة من نفسها". لكن هذا المشروع، الذي بدا وكأنه نجاح سياسي باهر، حمل في طياته تناقضاً أساسياً: فبينما كان يتحدث بلغة المجتمع والأخلاق، كان يطبق سياسات اقتصادية عززت من عدم المساواة. وبينما كان يدعي "حداثة" فكره، كان يستعيد، تحت غطاء أخلاقي، فكرة **الحملة التبشيرية الإمبريالية** القديمة، وهي الفكرة التي ستفضي إلى أعظم كوارثه في العالم العربي والإسلامي، وتفتح الباب أمام تحوله المثير للجدل من زعيم سياسي إلى مستشار تجاري في نفس المنطقة التي دمرها.

هذه المسيرة هي المفتاح: فهم "نيو لابور" هو فهم كيف تم تفكيك الفرق التقليدي بين اليسار واليمين في السياسة الخارجية والاقتصادية، وكيف تم تسويق الهيمنة بلغة المسؤولية الأخلاقية والتحديث. هذه اللغة نفسها هي ما سيستخدمها بلير لاحقاً في عمله الاستشاري.

المبحث الثاني : •أهم مصائبه في العالم العربي والإسلامي

.1 :غزو العراق 2003: الذروة الكبرى. تحليل دور بلير المركزي، تبرير الحرب بأساليب مضللة (أسلحة الدمار الشامل)، والتداعيات الكارثية على العراق والمنطقة (التفكيك الطائفي، صعود التنظيمات المتطرفة).

الكارثة الكبرى: غزو العراق 2003 وإرث الدمار الدائم

إذا كان مشروع "نيو لابور" هو المرحلة التمهيدية، فإن غزو العراق عام 2003 يمثل الذروة المأساوية والمحطة الأكثر إثارة للعار في مسيرة توني بلير. هنا، تحولت عقيدة "التدخل الدولي الإنساني" إلى غطاء أخلاقي فارغ لشن حرب عدوانية قائمة على التضليل والمبالغة، كان نتاجها دماراً شاملاً للعراق والمنطقة، وتفكيكاً للاستقرار العالمي.

.1الدور المركزي لبلير: الوريث المخلص للإمبريالية الجديدة

على عكس العديد من حلفاء الولايات المتحدة، لم يكن بلير تابعاً مُكرهاً، بل كان **مبادراً ومتحمساً ومبرراً أيديولوجياً** رئيسياً للحرب. علاقته "الخاصة" مع الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش حولت التحالف إلى "شراكة" كان بلير فيها الجناح الدبلوماسي والأخلاقي للعملية العسكرية. في خطاباته، قدم نفسه على أنه المدافع عن القيم الغربية ضد طغيان صدام حسين، مبرراً بذلك تحول بريطانيا من قوة استعمارية قديمة إلى قوة "تحريرية" جديدة، وهي الصورة التي كان يأمل أن تُلهم "مشروع الشرق الأوسط الجديد."

.2تبرير الحرب: أبراج من الأكاذيب

كان التبرير العلني للحرب يرتكز على ثلاثة ادعاءات رئيسية، ثبت زيفها جميعاً لاحقاً:

- **أسلحة الدمار الشامل :(WMDs)** كان هذا هو الذريعة المركزية. زعم بلير في خطابه الشهير أمام البرلمان في **18مارس 2003**، مستنداً إلى "مخابرات مؤكدة"، أن صدام حسين يملك أسلحة دمار شامل يمكن تحضيرها للاستخدام "خلال 45 دقيقة".

تقرير **تشيلكوت (2016)** كشف أن هذه الادعاءات **"مبالغ فيها" و"غير مؤكدة "**وتم تقديمها **"بدرجة من اليقين لا تدعمها المعلومات الاستخباراتية المتاحة ."**لم يتم العثور على أي أسلحة من هذا النوع.

- **الرابط بتنظيم القاعدة :**روّجت إدارة بوش وبلير لرواية وجود علاقة بين صدام حسين وتنظيم القاعدة. جميع التحقيقات (بما في ذلك تقرير لجنة 9/11 في الولايات المتحدة) نفت وجود أي "علاقة تعاونية" بينهما.
- **التحرير والديمقراطية :**تم تقديم الحرب كمشروع لتحرير الشعب العراقي من دكتاتورية وحشية وبناء ديمقراطية مستقرة. الواقع أثبت أن هذه كانت قصة ساذجة تغفل تعقيدات النسيج الاجتماعي العراقي.

.3التداعيات الكارثية: من دولة إلى مقبرة مفتوحة

كانت عواقب الحرب أبعد مما يمكن تخيله، ولا تزال المنطقة والعالم يدفعون ثمنها حتى اليوم:

- **الخسائر البشرية المروعة:**
  - **ضحايا العراقيون :**تقدّر دراسة أجراها **مشروع "Iraq Body Count"** عدد القتلى المدنيين المباشرين بسبب العنف بين عامي 2003 و2023 بما يتراوح بين **209,000إلى 235,000** شخص. بينما تشير دراسة أخرى نُشرت في مجلة **"PLOS Medicine"**إلى أرقام أعلى بكثير تشمل العواقب غير المباشرة للحرب (انهيار البنية التحتية، نقص الرعاية الصحية).
  - **النزوح الجماعي :**نزح **9.2مليون** عراقي من ديارهم، سواء داخل العراق أو كلاجئين في دول الجوار والعالم، وفقاً للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.
- **التفكيك الطائفي وإشعال الحرب الأهلية:**
قرار الحاكم الأمريكي **بول بريمر** بحل الجيش العراقي وتطبيق سياسة "اجتثاث البعث" بشكل عشوائي وعميق، **دمر الدولة العراقية الحديثة** .لقد حل مؤسساتها الأمنية وأفرغها من كفاءاتها الإدارية، مما خلق فراغاً أمنياً هائلاً وأطلق العنان للصراعات الطائفية المكبوتة، محولاً العراق إلى ساحة لحرب أهلية دامية بين السنة والشيعة.
- **صعود التنظيمات المتطرفة:**
الفراغ الأمني والغضب السني المكبوت من السياسات الطائفية الجديدة، وفرة الأسلحة، ومشاعر الكراهية للغرب، كلها عوامل خلقت البيئة المثالية لتغذية التطرف. من رحم هذا الفوضى، ولد **تنظيم القاعدة في العراق**، الذي تحول لاحقاً إلى **الدولة الإسلامية**

(داعش)، الذي اجتاح مساحات شاسعة من العراق وسوريا وأقام "خلافة" دموية أرعبت العالم، وكانت كارثة أخرى نابعة مباشرة من غزو 2003.

الخلاصة :غزو العراق لم يكن "خطأً" تكتيكياً، بل كان **جريمة سياسية وأخلاقية** بمعايير القانون الدولي. لقد حول بلير، بخطاباته المتألقة وثقته العمياء بنفسه وبالحليف الأمريكي، بريطانيا من دولة تحترم القانون الدولي إلى قوة تعمل خارج الإطار الدولي، مُحدثة دماراً بشرياً ومؤسسياً لا يمكن إصلاحه بسهولة. هذه الكارثة هي التي تطارد سمعته حتى اليوم، وهي التي تجعل من دوره اللاحق كمستشار "للديمقراطية" و"الإصلاح" في المنطقة سخرية مريعة وتجسيداً صارخاً لاستمرارية النفوذ الاستعماري بأشكال جديدة.

الكارثة الثانية: الحرب على أفغانستان.. انتصارٌ وهمي وإرث من الدمار المستمر

إذا كان غزو العراق هو الجريمة الواضحة القائمة على التضليل، فإن الحرب على أفغانستان كانت المأساة التي بدأت بإجماع دولي واسع وتحولت إلى فخ استنزاف طويل الأمد ومعقد. هنا أيضاً، لعب توني بلير دوراً محورياً ليس فقط في الدفع نحو التدخل العسكري، بل في صياغة السردية الأخلاقية المبالغ فيها التي رافقتها، والتي أخفت وراءها فشلاً استراتيجياً ذا عواقب إقليمية ودولية بالغة.

.1الدور المركزي لبلير: الخطيب المُلهِم للحملة الصليبية الحديثة

في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001، وقف توني بلير بجانب جورج بوش ليس كحليف تقليدي فحسب، بل كـ **"وزير خارجية" الحملة العالمية** .كان خطابه مليئاً بلغة أخلاقية مطلقة، واصفاً الصراع بأنه معركة بين "الحضارة" و"البربرية"، وبين "الخير" و"الشر". لقد قدّم نفسه كوجه "ليبرالي" و"متنور" للحرب، مما منحها شرعية أوسع في أوروبا والعالم. كان بلير هو المهندس الرئيسي لبناء التحالف الدولي لغزو أفغانستان، مساهماً في تحويل الرد الشرعي على هجوم إرهابي إلى **مشروع غير محدد المدة لإعادة تشكيل دولة بأكملها** تحت شعار "بناء دولة-Nation) " Building).

.2التبرير والتضليل: من مطاردة القاعدة إلى وهم بناء الدولة

بدأت الحرب بتبرير واضح ومشروع: مطاردة قادة تنظيم القاعدة الذين هندسوا الهجمات وتدمير بنيتهم التحتية في أفغانستان، حيث كانت تحميهم حركة طالبان، سرعان ما تحول هذا الهدف المحدد إلى مهمة ضبابية وطموحة بشكل غير واقعي:

- **تغيير النظام وإسقاط طالبان :**تحول الهدف من ضرب القاعدة إلى إسقاط نظام طالبان بأكمله، دون وجود خطة واضحة لما بعد الإسقاط.

- **"بناء دولة ديمقراطية" حديثة :**تم طرح مشروع طموح لبناء ديمقراطية ليبرالية في مجتمع قبلي تقليدي شديد التعقيد، تمزقه الحروب لعقود، وتغيب فيه أي مؤسسات دولة قابلة للحياة. كان هذا تجسيداً لوهم "التفوق الأخلاقي" و"القدرة على إعادة تشكيل المجتمعات الأخرى" الذي ميز فكر بلير.
- **تضليل النجاح :**على عكس العراق، لم تكن هناك أكاذيب حول أسلحة الدمار الشامل، ولكن كان هناك **تضليل منهجي حول تقدم الحرب ونجاحها** .لقد روّجت حكومات بلير وبوش لسردية عن "تقدم مطرد" و"تدريب الجيش الأفغاني" و"تحسين حياة المرأة"، بينما كانت الحقائق على الأرض تشير إلى عودة طالبان تدريجياً، وفساد الحكومة الأفغانية، واستنزاف الموارد دون تحقيق أهداف استراتيجية حقيقية.

.3التداعيات الكارثية: انتصار وهمي وإرث من الدمار

كانت عواقب الحرب التي استمرت 20 عاماً مأساوية بنفس قدر عواقب غزو العراق، وإن كانت أقل تركيزاً إعلامياً في بعض الفترات:

- **الخسائر البشرية الفادحة:**
  - **ضحايا أفغان :**وفقاً لمشروع **"Costs of War"**في جامعة **براون،** قُتل ما يقدر بنحو **176,000شخص** في أفغانستان وباكستان بسبب الحرب مباشرة، منهم أكثر من **46,000مدني** .نزح **ملايين** الأشخاص من ديارهم.
  - **ضحايا التحالف :**قُتل **3,586**فرد من القوات المتحالفة، منهم **457جندي بريطاني**.
- **الاستنزاف المالي الهائل:** أنفقت الولايات المتحدة وحلفاؤها، بما في ذلك بريطانيا، **أكثر من تريليوني دولار** على الحرب في أفغانستان. كان هذا استنزافاً هائلاً للموارد التي كان يمكن توجيهها للخدمات العامة أو التنمية.
- **الفشل الاستراتيجي الذريع:** الانهيار السريع والساحق للحكومة الأفغانية والجيش الأفغاني الذي دُرب بكلفة 83 مليار دولار في وجه هجوم طالبان في **أغسطس 2021،** كان الدليل القاطع على فشل مشروع "بناء الدولة" برمته. لقد أثبت أن المشروع بأكمله كان قائماً على أوهام، وأن طالبان، التي خرجت من الحرب مهزوزة ولكنها لم تُهزم، كانت تنتظر فقط انسحاب القوات الأجنبية لتعود إلى السلطة، مما يعني أن التضحيات البشرية والمادية الهائلة خلال عقدين ذهبت سدى.
- **تفاقم عدم الاستقرار الإقليمي:** ساهمت الحرب في زعزعة استقرار باكستان المجاورة، وأمدت شبكات التمرد والعنف في المنطقة بالخبرة والعتاد، ولم تحقق الهدف الأساسي

المعلن وهو القضاء على الإرهاب العالمي، حيث انتشرت فصائل متطرفة جديدة في فراغ السلطة.

الخلاصة :إذا كان غزو العراق هو "جريمة"، فإن الحرب على أفغانستان كانت **"مأساة" و"وهم "**استراتيجي. لقد كشفت عن محدودية القوة العسكرية الغربية في إجبار التغيير الاجتماعي والسياسي في مجتمعات معقدة. دور توني بلير كان محورياً في تحويل رد فعل مشروع إلى حملة صليبية أيديولوجية طموحة وغير واقعية، انتهت بكارثة إنسانية وفشل ذريع، مما زاد من تقويض مصداقية الغرب وأسهم في تعميق المشاكل التي زعم أنه جاء لحلها. هذه الحرب، إلى جانب غزو العراق، رسخت صورة بلير كـ "صانع كوارث" في العالم الإسلامي، وهي الصورة التي تجعل من دوره اللاحق كمستشار للأمن والاستقرار في المنطقة مفارقة تاريخية صارخة.

الكارثة الثالثة: وساطة منحازة.. تعطيل عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية

إذا كانت حربا العراق وأفغانستان تمثلان كارثتي بلير العسكريتين المباشرتين، فإن دوره في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية يمثل كارثة دبلوماسية من نوع آخر. كارثة لم تكن ناجمة عن قصف مباشر، بل عن **انحياز منهجي مُمنهج** أخلى مفهوم الوساطة الدولية من مضمونه الحيادي، وساهم في تقويض أي أمل حقيقي في تحقيق حل الدولتين، مما عمق الاحتقان وأضاف طبقة أخرى من المرارة تجاه السياسات الغربية في المنطقة.

.1الدور المركزي لبلير: وسيط بوجه واحد

بعد مغادرته منصبه كرئيس للوزراء في 2007، تم تعيين بلير كممثل خاص لل**رباعية الدولية** (الأمم المتحدة، الولايات المتحدة، الاتحاد الأوروبي، روسيا) للشرق الأوسط. من الناحية النظرية، كان من المفترض أن يكون وسيطاً حيادياً يعمل على دفع عملية السلام .الممارسة العملية، تحول بلير إلى **دبلوماسي منحاز بشكل صارخ لصالح إسرائيل،** عاملاً في كثير من الأحيان كامتداد للوبي المؤيد لإسرائيل في واشنطن ولندن بدلاً من كونه وسيطاً نزيهاً. لقد استخدم منصبه الدولي الرفيع لتسويق الرواية الإسرائيلية وتبرير سياساتها، بدلاً من العمل كجسر للتفاهم.

.2آليات الانحياز: تحيز مُمنهج تحت غطاء الدبلوماسية

لم يكن انحياز بلير مجرد اتهام عابر، بل تجلى في ممارسات وسلوكيات محددة:

- **تبني السردية الأمنية الإسرائيلية بشكل مطلق :**قدم بلير نفسه باستمرار كخبير في "مكافحة الإرهاب"، ووصف الصراع من خلال العدسة الأمنية الإسرائيلية حصرياً. كان يركز بشكل شبه كامل على مطالب إسرائيل الأمنية (وقف العنف الفلسطيني، الاعتراف بيهودية الدولة) بينما **تجاهل بشكل منهجي المظالم الفلسطينية الأساسية** مثل استمرار التوسع

الاستيطاني، وحصار غزة، والعنف الذي تمارسه المستوطنون والقوات الإسرائيلية ضد المدنيين. لقد عامل الصراع وكأنه مشكلة "إرهاب" أحادية الجانب تحتاج إلى حل، وليس نزاعاً سياسياً بين طرفين لهما حقوق وتظلمات.

- **تجاهل الاستيطان: الجريمة المستمرة :**على الرغم من أن القانون الدولي يعتبر المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة **غير قانونية** و**العقبة الرئيسية** أمام قيام دولة فلسطينيةviable ، إلا أن بلير تعامل معها على أنها مجرد "عقبة" ثانوية أو "تفصيل" يمكن تأجيله إلى مراحل لاحقة من المفاوضات. لقد رفض بشكل فعال استخدام منصبه أو نفوذه للضغط على إسرائيل لوقف الاستيطان، وهو ما شجع الحكومة الإسرائيلية على المضي قدماً في سياسة التوسع، وأكلت الأراضي التي من المفترض أن تقوم عليها الدولة الفلسطينية المستقبلية.
- **إضفاء الشرعية على الحصار: المعاناة الإنسانية في غزة :**بعد سيطرة حماس على غزة في 2007، فرضت إسرائيل حصاراً خانقاً شاملاً .إدانة هذه السياسة الجماعية كعقاب جماعي محظور بموجب القانون الدولي، عمل بلير على **"إدارة" الحصار** وتحسين شروطه قليلاً، مما منحه شرعية غير مستحقة. لقد قبل بالإطار الإسرائيلي الذي يعتبر غزة "كياناً معادياً" يجب حصاره، بدلاً من اعتباره جزءاً محتلاً من الأرض الفلسطينية يعاني من أزمة إنسانية كارثية بسبب أفعال القوة القائمة بالاحتلال.

.3التداعيات الكارثية: تقويض السلام ومصداقية الوساطة الدولية

كان لإخفاقات بلير وانحيازه عواقب عميقة:

- **تقويض مصداقية الوساطة الدولية :**عندما يُنظر إلى الممثل الدولي على أنه منحاز لأحد الطرفين، فإنه يفقد ثقة الطرف الآخر والمجتمع الدولي بأكمله. لقد دمّر بلير مصداقية الرباعية كوسيط نزيه، وأثبت للفلسطينيين أن الآليات الدولية مصممة لخدمة مصالح إسرائيل و الحلفاء الغربيين.
- **تمكين الاستيطان ودفع حل الدولتين إلى حافة الهاوية :**من خلال رفض جعل وقف الاستيطان شرطاً أساسياً للمفاوضات، أعطى بلير الضوء الأخضر للاستمرار في مشروع التوسع الاستيطاني، الذي استهلك الأراضي وجعل قيام دولة فلسطينية متجاورة مستحيلاً جغرافيا وعملياً.
- **تعميق اليأس والإحباط الفلسطيني :**ساهمت سياسات بلير في إقناع جيل كامل من الفلسطينيين بأن الطريق السلمي والدبلوماسي لن يوصلهم إلى أي مكان، مما غذى المشاعر المتطرفة ووسع قاعدة التأييد لخيارات المقاومة العنيفة.

الخلاصة :لم يكن فشل توني بلير في عملية السلام فشلاً تقنياً، بل كان فشلاً **أخلاقياً وجوهرياً** .لقد خان مهمته الأساسية كوسيط. لم يكن "صانع سلام"، بل كان **"مدير أزمة "**يعمل على الحفاظ على الوضع القائم لصالح إسرائيل، بينما كان يغذي وهم التقدم نحو السلام. هذه الكارثة الدبلوماسية أكملت الصورة ثلاثية الأبعاد لرجل ساهم، عبر الحرب والدبلوماسية على حد سواء، في تفكيك استقرار المنطقة وتقويض مصداقية الغرب، ليعود لاحقاً إلى نفس المنطقة بصفة "مستشار" يبيع خدماته في "الإصلاح" و"الاستقرار" – وهي مفارقة تاريخية تصل إلى ذروة السخرية المأساوية.

المبحث الثالث : التحول المتناقض:

من صانع الكوارث إلى "الخبير" المرغوب.. تشكيل النظرة والسمعة

لم تكن الكوارث الثلاث – العراق، أفغانستان، والسلام الفلسطيني الإسرائيلي – مجرد فصول منفصلة في سجل بلير؛ بل كانت بمثابة بوتقة صهر أعادت تشكيل نظرته للمنطقة وأعادت تعريف قيمته في سوق النفوذ العالمي بشكل مثير للتناقض. من ركام الدمار الذي ساهم فيه، خرج بلير بشيئين :**نظرة استعلائية مختلة**، و**سمعة مكروهة لكنها ثمينة** لأولئك الذين يسعون لشراء النفوذ.

.1تشكيل النظرة: تعزيز النزعة الاستعلائية والتبسيط المُخل

بدلاً من أن تدفعه الكوارث إلى التواضع وإعادة النظر، عززت تجاربه **القناعة الأساسية في أيديولوجيته** :أن المشكلة تكمن في "المنطقة" نفسها، وليس في الحلول الخارجية المفروضة. لقد فسر الفشل على أنه ناتج عن:

- **"عدم نضج" السياسات المحلية :**عوائق قبلية وطائفية وإرهابية تحول دون تبني النموذج الغربي "العقلاني."
- **حاجة المنطقة إلى "إدارة خارجية :"**ضرورة وجود قوة خارجية (ممثلة فيه هو وشركائه) لتوجيه الأمور نحو المسار الصحيح.

هذه النظرة **الاستعلائية (Paternalistic)** هي نفسها التي كانت لدى المندوب السامي البريطاني التاريخي، الذي كان يعتقد أن شعوب المستعمرات "غير قادرة على حكم نفسها" وتحتاج إلى حكمته. لم يرى بلير نفسه كطرف سبب الأزمة، بل كـ **طبيب جاء ليعالج مريضاً معقداً** فقابله المريض بعدم امتنان وعنف. هذا الإطار الفكري هو الذي يسمح له اليوم بالتجول في قصور المنطقة كـ "خبير"، مقدماً النصائح نفسها التي فشلت عندما فرضت بقوة السلاح، ولكن الآن تُعرض بلسان الاستشارة واقتصاد السوق.

.2السمعة المكروهة والثمينة: قيمة الرجل الموصول

على المستوى الشعبي العربي والإسلامي، أصبح بلير أحد **أكثر الشخصيات الغربية مقتاً وكرهًا،** أصبح مرادفاً للدمار والكذب والانحياز. ومع ذلك، وفي مفارقة مظلمة تعكس طبيعة السياسة الدولية القائمة على المصالح، فإن هذه السمعة نفسها هي التي منحته **"قيمة" فريدة** في أعين بعض الحكومات:

- **القيمة الوصولية :(Access Value)** بلير ليس أكاديمياً أو ديبلوماسياً عادياً. إنه شخصية ذات علاقات شخصية وثيقة مع أهم مراكز القوى في واشنطن (في الدوائر الحاكمة بجميع ألوانها) ولندن (في أجهزة الاستخبارات والمال). توظيفه يعني **شراء قناة اتصال مباشرة ومضمونة** إلى هذه المراكز. إنه "الباب الخلفي" إلى البيت الأبيض وداوننينغ ستريت.
- **قيمة الغطاء :(Legitimacy Washing)** للحكومات التي تواجه انتقادات دولية حول سجلها في حقوق الإنسان أو الديمقراطية، فإن توظيف رئيس وزراء بريطاني سابق يمنحها **غسيلاً للشرعية** .**(Legitimacy Washing)** فهو يضفي هالة من المصداقية والاحترام الدولي الظاهري، وكأنه يخبر العالم: "انظروا، الغرب يؤيدنا عبر شخصيته البارزة."
- **قيمة الخبرة في قمع "الفوضى" :**"من وجهة نظر بعض الأنظمة، فإن رجلًا أشرف على غزوين وعمليات استخباراتية معقدة هو **خبير في "إدارة الفوضى" و"مكافحة التطرف** ."إنهم لا يوظفونه رغم فداحة دوره في العراق، بل **بسبب هذا الدور** .فهم يرون فيه خبيراً يعرف كيف تسحق التمردات وتُحكم السيطرة، وهي "مهارات" يعتقدون أنهم بحاجة إليها للحفاظ على استقرارهم.

الخلاصة :لقد حولت الكوارث توني بلير إلى **سلعة متناقضة** .هو في العلن شخصية مكروهة، لكن Behind closed doors، هو مورد ثمين. إنه جسر إلى القوة، ودرع ضد النقد، وخبير في الحفاظ على النظام بأي ثمن. هذه القيمة لم تنبع من نجاحاته، بل من فشله الذريع وقدرته على البقاء والتحول. إنها قيمة لا تعترف بالأخلاق، بل **بالمصلحة البحتة والوصول إلى النفوذ** .هذا التحول هو ما يجعله التجسيد الأكثر وضوحاً لاستمرارية المشروع الاستعماري: من المندوب السامي الذي كان يملي السياسات باسم التاج، إلى المستشار السامي الذي يبيعها اليوم باسم السوق.

الفصل الثالث

تحول الإمبراطورية: من الكومنولث إلى التبعية الأمريكية

المبحث الأول : نهاية الوهم: أزمة السويس 1956 ونزول بريطانيا عن عرش العالم

لم يحدث تحول بريطانيا من قوة استعمارية عظمى إلى شريك ثانوي (شريك "جونيور") للولايات المتحدة بين ليلة وضحاها، بل كان عملية تاريخية تراكمية. إلا أن هناك لحظة مفصلية واحدة وقف فيها هذا التحول عارياً بكل قسوته، مما أنهى وهم القوة البريطانية الذاتية إلى الأبد :**أزمة قناة السويس في عام 1956** .هذه الأزمة لم تكن مجرد نزاع على قناة، بل كانت شهادة وفاة الإمبراطورية البريطانية وشهادة ميلاد التبعية الأمريكية.

الخلفية: آخر أنفاس الإمبراطورية في يوليو 1956، قام الرئيس المصري جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس، التي كانت تسيطر عليها شركة بريطانية-فرنسية وتمثل شريان الحياة الاقتصادي والإستراتيجي للإمبراطورية البريطانية. بالنسبة لرئيس الوزراء البريطاني أنطوني إيدن، كان هذا عملًا من أفعال "الهمجية" التي لا يمكن التسامح معها، تذكرنا التحديات التي واجهها تشيرشل في ثلاثينيات القرن الماضي. بتحالف سري مع فرنسا وإسرائيل، دبرت بريطانيا خطة لحل الأزمة بالقوة: ستغزو إسرائيل سيناء، لتقدم بريطانيا وفرنسا بعدها "إنذارًا" بوقف إطلاق النار تحت ذريعة حماية القناة، ثم تحتلاها لاستعادة السيطرة عليها وإسقاط ناصر.

الصدمة: الإذلال الأمريكي نجحت الخطة عسكريًا في البداية، كانت الصدمة السياسية والاقتصادية هي الضربة القاضية. لقد فشل إيدن بشكل فادح في تقدير الموقف الجيوسياسي في عالم الحرب الباردة. فقد استخدم الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور **أقوى الأسلحة في ترسانة الولايات المتحدة: الضغط الاقتصادي**.

1. **الضغط المالي القاتل :**رفضت الولايات المتحدة دعم الجنيه الإسترليني، الذي كان يعاني من هبوط حاد بسبب تكاليف الحرب. بل والأكثر إذلالاً، هددت **ببيع حيازاتها الضخمة من السندات الحكومية البريطانية**، وهو ما كان سيتسبب في انهيار قيمة العملة البريطانية وإفلاس البلاد.
2. **الضغط السياسي في الأمم المتحدة :**لعبت الولايات المتحدة، بشكل غير مسبوق، ضد حلفائها في الأمم المتحدة، حيث صوتت لصالح قرار يدين الغزو.

في غضون أيام، وجدت بريطانيا نفسها وحيدة، مفلسة، ومستهدفة من قبل حليفها الأقرب. لم يكن أمام إيدن خيار سوى سحب القوات بشكل مهين وغير مشروط، مما أدى إلى استقالته وسقوطه السياسي والصحي.

النتيجة: ولادة "العلاقة الخاصة" الحقيقية (علاقة التبعية) كانت رسالة واشنطن واضحة ومباشرة" :**العالم لم يعد ملككم. النظام العالمي الجديد نصنعه نحن، وقرارات استخدام القوة الكبرى نتخذها نحن. دوركم هو أن تتبعوا."**

- **التحول من الشريك إلى التابع :**قبل 1956، كانت بريطانيا لا تزال تتخيل نفسها كقوة مساوية للولايات المتحدة، أو على الأقل شريكة قائدة في العالم "الحر". بعد السويس، أصبح من الواضح للجميع أن **العلاقة "الخاصة" كانت في واقع الأمر علاقة تبعية** .لقد انتقلت العصا من لندن إلى واشنطن بشكل نهائي.
- **إعادة تعريف الدور :**كان على بريطانيا أن تعيد تعريف دورها في العالم. لم تعد قادرة على التصرف بشكل مستقل خارج الإطار الذي ترسمه الولايات المتحدة. أصبح دورها الجديد هو أن تكون **الجناح الأوروبي الأكثر ولاءً للاستراتيجية الأمريكية،** وأن توفر الغطاء الدبلوماسي والمشورة الاستخباراتية والشرعية التاريخية عندما تتطلب واشنطن ذلك.

هذه اللحظة المؤسسة للتبعية هي الإطار الذي لا يمكن فهم سياسات توني بلير الخارجية بدونه. فاندفاعه غير المشروط خلف بوش في العراق عام 2003 لم يكن سوى استمراراً لهذا الدرس الذي تعلمته بريطانيا في 1956: أن قيمتها الاستراتيجية تكمن في ولائها غير المشروط للقوة المهيمنة، وليس في قدرتها على الفعل المستقل. لقد كان بلير، في سلوكه، الوريث المطيع لإرث السويس بكل إخلاص.

المبحث الثاني : بلير والعباءة الأمريكية: الجناح الأوروبي للحرب على العراق

إذا كانت أزمة السويس 1956 هي اللحظة التي **اكتشفت** فيها بريطانيا مرارة تبعيتها للولايات المتحدة، فإن حرب العراق 2003 كانت اللحظة التي **تبنتها** فيها بشكل كامل وطوعي تحت قيادة توني بلير. لم يكن بلير مجرد تابع مُكره، بل كان **المبشر الأيديولوجي** والمُنَظِّر الأكثر حماسةً للسياسة الأمريكية، مُحولاً تبعية بلاده من ضرورة جيوسياسية إلى فضيلة أخلاقية وسياسية. لقد كان، بحق، "الجناح الأوروبي" الأكثر فعالية وولاءً للمشروع المحافظ الجديد في واشنطن.

.1تجاوز الدور التقليدي: من الحليف إلى "المُبشّر"

لم يقتصر دور بلير على تقديم الدعم الدبلوماسي أو العسكري التقليدي. لقد تجاوز ذلك إلى أدوار أكثر خطورة وعمقاً:

- **المنظّر الأخلاقي للحرب :**بينما اعتمدت إدارة بوش على خطاب قائم على القوة والانتقام بعد 11 سبتمبر، قدم بلير **غلافاً أخلاقياً ليبرالياً** للحرب. استخدم خطابه الماهر لتقديم الغزو ليس كمجرد عمل انتقامي، بل كـ "مهمة تحرير" و"واجب إنساني" لنشر الديمقراطية والحرية. لقد أعطى للحرب بُعداً "تقدمياً" جذب قطاعات من اليسار والوسط في أوروبا كانوا ليرفضوها لو جاءت من بوش وحده. كان خطابه في **تكساس** في عام 2002، حيث حذر من "الخطر الجديد" الذي يشكله "الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل والدول المارقة"، بمثابة بيان أيديولوجي موحد للحرب القادمة.

- **كاسر الجليد الأوروبي :**كانت أوروبا منقسمة بشدة حول الحرب. قادت فرنسا وألمانيا معسكراً مناهضاً بشدة. هنا، برز دور بلير الحاسم :**كسر الإجماع الأوروبي المعارض** . دبلوماسيته المكثفة، وعلاقته "الخاصة" مع بوش، ومنصبه كزعيم لحكومة يسار وسط، منحوا واشنطن الغطاء الذي تحتاجه لادعاء أن الحرب لم تكن مشروعاً أمريكياً منعزلاً، بل لدعم "دولي" واسع، ولو كان في الواقع يقتصر على بريطانيا وحفنة من الحلفاء. لقد حول بلير بريطانيا من جسر بين أوروبا وأمريكا إلى **حصان طروادة الأمريكي داخل أوروبا**.

.2التبعية الطوعية: الولاء الذي يفوق ولاء الأمريكيين أنفسهم

الأكثر إثارة للدهشة في سلوك بلير كان درجة ولائه التي وصلت إلى حد **تبني الأجندة الأمريكية بشكل أعمق وأكثر حماسة من العديد في إدارة بوش نفسها**.

- **تضخيم التضليل :**لم يكتف بلير بتكرار مزاعم إدارة بوش حول أسلحة الدمار الشامل، بل **بالغ فيها وقدمها بدرجة من اليقين الأخلاقي** الذي تجاوز حتى التقديرات الاستخباراتية الأمريكية والبريطانية نفسها. تقرير تشيلكوت كشف أن استخبارات MI6 كانت متحفظة، لكن بلير قدم الأمر وكأنه "حقيقة لا ريب فيها". لقد أصبح بائعاً للكذبة أكثر اقتناعاً من مبتكريها.

- **تجاهل التحذيرات والبدائل :**تجاهل بلير تحذيرات دبلوماسييه وخبرائه، وتحذيرات حلفائه الأوروبيين، ونصائح القانونيين الذين حذروا من عدم شرعية الحرب بدون تفويض ثان من مجلس الأمن. لقد وضع كل رهانه على "العلاقة الخاصة" مع بوش، معتبراً أن الولاء لواشنطن هو أعلى قيمة استراتيجية وأخلاقية، فوق القانون الدولي والإجماع الأوروبي وحتى المصلحة الوطنية البريطانية المباشرة.

الخلاصة: ذروة التبعية الاستراتيجية

بفعله هذا، لم يؤد بلير فقط إلى كارثة في العراق، بل **رسخ نموذجاً خطيراً للتبعية البريطانية** .لقد أظهر أن رئيس وزراء بريطانيا يمكن أن يصبح أداة طيعة في يد الإدارة الأمريكية، حتى عندما تكون تلك الإدارة من أكثر الإدارات تطرفاً وأحادية الجانب في التاريخ الأمريكي الحديث. لقد حول "العلاقة الخاصة" من تحالف بين حليفين إلى علاقة **سيد-تابع،** حيث يكون دور البريطاني هو التبرير والتسويق والتنفيذ، وليس التشكيك أو تقديم المشورة المستقلة.

هذا الدور هو الذي مهد الطريق لتحوله اللاحق إلى "مستشار". فإذا كان بإمكانه أن يبيع حرباً مدمرة للشعب البريطاني والعالم بغطاء أخلاقي، فأليس الأسهل عليه أن يبيع "إصلاحات" و"استشارات أمنية" لحكام المنطقة؟ لقد أثبت في العراق أنه **تاجر بارع للسياسات الأمريكية، مغلفاً بخطاب ليبرالي جذاب** .هذه المهارة بالذات هي ما يجعل له "قيمة" في السوق التي يعمل فيها اليوم.

مراجع (للتوثيق النهائي) :

- **The Chilcot Report (2016)** - The Report of the Iraq Inquiry.
- **Campbell, Alastair. The Blair Years: The Alastair Campbell Diaries (2007)** - Provides an insider account of the relationship with Bush.
- **Meyer, Christopher. DC Confidential: The Controversial Memoirs of Britain's Ambassador to the U.S. at the Time of 9/11 and the Iraq War (2005)** - Offers perspective from the embassy in Washington.
- **Manning, David. Evidence to the Iraq Inquiry** - The then Foreign Policy Advisor to Blair's testimony is crucial.
- **Riddell, Peter. Hug Them Close: Blair, Clinton, Bush and the 'Special Relationship' (2004)** - Analyzes the dynamics of the relationship.

المبحث الثالث : إرث التفكيك: من حروب بلير الطموحة إلى انكفاء البريكست

إذا كان عهد توني بلير يمثل ذروة التبني الطوعي لدور "الجناح العالمي" لأمريكا، فإن الفترة التي أعقبته، وبلغت ذروتها في **خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (البريكست) في 2016**، كشفت عن النتيجة الحتمية لتلك السياسات :**تقلص مكانة بريطانيا العالمية** وانهيار وهم نفوذها المستقل. لم يكن البريكست حدثاً منعزلاً، بل كان تتويجاً لمسار من التفكيك الداخلي والخيبة الخارجية زرع بذوره، إلى حد كبير، في سياسات بلير نفسه.

.1إرث التصدع الداخلي: ثمن الولاء والانقسامات المزروعة

ساهمت قرارات بلير، خاصة حرب العراق، في تفكيك النسيج الاجتماعي والسياسي البريطاني، مهدئة الطريق لأزمة الهوية التي انفجرت لاحقاً في البريكست:

- **الشرخ الاجتماعي العميق :**حرب العراق كانت **أول حرب بريطانية كبرى تثير معارضة شعبية ساحقة ومسبقة** .المظاهرات المليونية لم تمنع الحرب، مما خلق شعوراً عميقاً لدى قطاع كبير من الشعب بأن النخبة الحاكمة في وستمنستر (التي يجسدها بلير) لم تعد تستمع إليهم أو تمثلهم. هذا الشرخ بين "النخبة العالمية" و"الجمهور المحلي" أصبح سمة أساسية من سمات السياسة البريطانية وتم استغلاله لاحقاً من قبل حملة البريكست، التي صورت الاتحاد الأوروبي على أنه مشروع نخبوي (مثل بلير) يسلب السيادة.
- **أزمة مصداقية المؤسسة :**الكذب حول أسلحة الدمار الشامل، كما كشفه تقرير تشيلكوت، دمر ثقة الجمهور ليس فقط في الحكومة، بل في مؤسسات الدولة الاستخباراتية والإعلامية. أصبحت "كذبة بلير" مرادفاً لخيانة النخبة، مما جعل الناخبين أكثر تقبلاً للشعبوية وأكثر تشككاً في أي حقائق تقدمها "الخبراء" أو "المؤسسة."

.2الوهم الاستراتيجي: أوهام القوة والانكشاف الواقعي

أدى انهماك بلير في مشاريعه العالمية إلى إهمال البناء الاستراتيجي الحقيقي لدور بريطانيا، معتمداً على وهم النفوذ عبر واشنطن:

- **إهمال العمق الأوروبي :**بينما كان بلير يركض وراء "العلاقة الخاصة" مع بوش، كان **يهمل تعميق وتطوير دور بريطانيا المركزي داخل الاتحاد الأوروبي** .لقد فشل في تحويل موقف بريطانيا من "العضو المتردد" إلى "قائدة أوروبا". هذا التردد التاريخي، coupled with سياسات الهجرة التي فتحها دون تهيئة البنية التحتية المجتمعية (وهي نقطة انتقاد أخرى له)، غذى الاستياء من الاتحاد الأوروبي.

- **الكشف عن القوة الوهمية :**بعد العراق وأفغانستان، أصبح من الواضح أن بريطانيا، رغم قدراتها العسكرية، **لم تعد قادرة على شن حروب كبرى أو إدارة عواقبها بشكل مستقل** . لقد اعتمدت كلياً على القوة الأمريكية. البريكست كان، في جزء منه، ردة فعل على هذا الإحساس بالضعف والتبعية: محاولة يائسة لاستعادة "السيادة" الوهمية التي تم تفريغها من مضمونها على أرض الواقع خلال عهد بلير.

.3البريكست: البحث المحموم عن دور في عالم لم يعد يتذكر الإمبراطورية

البريكست لم يكن بحثاً عن القوة، بل كان **اعترافاً بالضعف والضياع** .لقد كان تصويتاً على:

- **رفض النموذج العالمي لبلير :**رفضاً للنخبة العالمية المتصورة، للهجرة غير المضبوطة، ولتبعات العولمة.
- **وهم العودة إلى الماضي :**البحث عن هوية بسيطة وماض مجيد (إمبراطورية الكومنولث) لم يعد موجوداً. إنه تصويت من أجل "الاستقلال" في وقت أصبح فيه العالم يعتمد على التكتلات الكبرى.
- **النتيجة الحتمية للتقلص :**البريكست هو التجسيد الجغرافي-السياسي لـ **تقلص نفوذ بريطانيا** .إنه خيار الانكفاء على الذات والانسحاب من أكبر كتلة جوارية لها، مما يحد من قدرتها على التأثير بشكل مستقل، ويدفعها للبحث عن دور جديد، غالباً ما يكون عبر مزيد من الالتصاق بالولايات المتحدة ، مما يعمق التبعية التي بدأها بلير.

الخلاصة :يمثل البريكست **الإرث المسموم لعهد بلير** .لقد كشفت حروبه عن هشاشة القوة البريطانية وتبعيتها، وزرعت انقسامات عميقة في المجتمع دفعته لاحقاً إلى قرار انتحاري. من دفعه غير المحدود نحو العولمة والأجندة الأمريكية، إلى انكفاء البريكست، هناك خط مباشر. لقد كانت رحلة بريطانيا من وهم القوة تحت قيادة بلير، إلى اعترافها القاسي بضعفها وتقلصها بعده. هذا التقلص هو الإطار الذي يجعل من دور بلير اللاحق كمستشار دولي مفارقة تاريخية: فبينما تخلت بليطانيا عن دورها المركزي في العالم، ها هو أحد رموزها الأبرز لا يزال يتنقل بين العواصم، يبيع وهم النفوذ الذي ساهم هو نفسه في تدميره.

مراجع (للتوثيق النهائي):

- **The UK in a Changing Europe initiative** - For analysis on the causes and consequences of Brexit.
- **Shipman, Tim. All Out War: The Full Story of How Brexit Sank Britain's Political Class (2016)** - A detailed journalistic account of the Brexit referendum campaign.

- **O'Toole, Fintan. Heroic Failure: Brexit and the Politics of Pain (2018)** - Explores the cultural and psychological drivers behind Brexit.
- **The Chilcot Report (2016)** - To directly link the loss of trust in institutions to the Iraq War.
- **Opinion polls and studies on public trust in UK government and media post-Iraq War.**

....

المبحث الرابع : الإمبراطورية التي توارت.. النخبة التي تتكيف: الوكالة والتأثير المتبقي

بعد تقلص الدور العالمي لبريطانيا، وانزياحها من مركز الإمبريالية إلى هامش التبعية، يبرز سؤال مصيري: ما الذي تفعله نخبتها الحاكمة القديمة، المتمرسة في إدارة العالم، في عالم لم يعد ملكاً لها؟ الإجابة تكمن في تحولين متوازيين: جزء منها أصبح **وكلاءَ لنفوذ آخر** (أمريكي بالأساس)، وجزء آخر يحاول يائساً **الحفاظ على تأثير متبقٍ** من خلال أدوات القوة الناعمة وشبكات النفوذ القديمة. وتوني بلير هو النموذج الأبرز لهذا التحول.

1.الوكلاء الجدد: من خدمة التاج إلى خدمة الهيمنة الأمريكية

لم يختف الحنين الإمبريالي، بل أعيد توجيهه. لم تعد بريطانيا قادرة على فرض إرادتها بشكل مستقل، لكن نخبتها لا تزال تمتلك **رأس المال البشري والاستخباراتي والثقافي** الذي تريده القوة المهيمنة الجديدة.

- **جسر الاستخبارات والدبلوماسية :**تمتلك المؤسسة البريطانية، خاصة في مجالات الاستخبارات (MI6, GCHQ) والدبلوماسية، خبرة عميقة في الشرق الأوسط وآسيا لا تزال الولايات المتحدة تعتمد عليها. لكن هذا الاعتماد لم يعد على أساس الشراكة بين أنداد، بل على أساس **الوكالة المميزة** .أصبحت هذه المؤسسات تُستخدم كأدوات متطورة و"محترمة" لتنفيذ الاستراتيجية الأمريكية، حيث توفر التغطية والشرعية والوصول الذي قد تعجز عنه الوكالات الأمريكية أحياناً.
- **اللوبي والمستشارون: صناعة النفوذ :**هنا يبرز دور figures like توني بلير. لم يعد بإمكانه أن يأمر بدخول الحرب، لكنه يستطيع **تسويق السياسات وترويجها وتسهيل تنفيذها** .عندما يعمل بلير كمستشار لحكومة خليجية، فهو لا يبيع الخبرة البريطانية فقط، بل يبيع **الوصول إلى الشبكات الأمريكية** .هو وسيط ذو وجهين: يظهر للعميل العربي كقناة إلى واشنطن، ويظهر للشريك الأمريكي كمنسق للمصالح في منطقة مضطربة. لقد

أصبح **وكيل نفوذ** (Influence Peddler)يعمل في السوق الدولية، مستخدماً شبكة علاقاته التي بناها أثناء فترة ولايته في خدمة التاج، لصالح قوى أخرى الآن.

.2الحفاظ على التأثير المتبقي: قوة الماضي في خدمة الحاضر المحدود

بالتوازي مع دور الوكالة، تحاول النخبة البريطانية الحفاظ على بعض الأدوار المستقلة من خلال استغلال ما تبقى من رصيدها.

- **القوة الناعمة والمؤسسات :**لا تزال بريطانيا تمتلك رصيداً هائلاً من القوة الناعمة عبر اللغة الإنجليزية، النظام التعليمي (أكسفورد، كامبريدج)، والمؤسسات الثقافية .(BBC) تحاول الدبلوماسية البريطانية استغلال هذا الرصيد للحفاظ على مكانة أخلاقية ومعرفية في العالم.
- **شبكة الكومنولث: وهم الشراكة :**تحاول بريطانيا استخدام **كومنولث الأمم** كمنصة بديلة عن الاتحاد الأوروبي للحفاظ على نفوذها العالمي. لكن الكومنولث، في غياب القوة الصلبة والمنفعة الاقتصادية المباشرة، يبقى مجرد نادٍ ثقافي-تاريخي، يذكر بمجد مضى أكثر مما يكون أداة تأثير حقيقية في السياسة الدولية المعاصرة.
- **أدوات السوق: استعمار جديد عبر الاقتصاد :**تحاول بريطانيا تعويض فقدان النفوذ السياسي عبر **المراكز المالية (لندن)** و**شركات الاستشارات والاستخبارات الخاصة** . أصبح النفوذ يُباع كسلعة في السوق المفتوحة. عندما تدفع دولة خليجية ملايين الجنيهات لمستشار مثل بلير أو لشركة أمنية بريطانية، فهي تشتري وهم النفوذ والقرب من مراكز القوى العالمية. هذه "الاستشارة" هي شكل من أشكال **الاستعمار الاقتصادي-الثقافي**، حيث تُستخرج الثروة مقابل وعود بتأمين الولاء للقيم والمصالح الغربية.

الخلاصة النهائية للفصل:

لم تمت الإمبريالية البريطانية، بل **تحولت وتكيفت** .من لم يعد بمقدورها أن تحكم مباشرة، تعلمت أن تتاجر بنفوذها. من لم تعد قادرة على فرض الإرادة، تعلمت أن تبيع الخدمات. توني بلير هو تجسيد هذا التحول: من رئيس وزراء قاد إمبراطورية إلى مستشار يبيع الوهم. هو ليس مجرد شخص، بل هو **ظاهرة** :ظاهرة النخبة التي ترفض الاعتراف بزوال قوة بلدها، فتتحول من حكام إلى وكلاء، ومن قادة إلى سماسرة نفوذ، في سوق عالمية لا ترحم، حيث السيادة هي السلعة الأكثر رواجاً، والخبرة الإمبريالية هي العلامة التجارية الأكثر طلباً.

مراجع الفصل الثالث

1. **أزمة السويس والتحول إلى التبعية الأمريكية:**

    - **Kyle, Keith. *Suez: Britain's End of Empire in the Middle East*. I.B. Tauris, 2011.** (المرجع الأساسي والشامل للأزمة).
    - **Louis, Wm. Roger, and Roger Owen (eds.). *Suez 1956: The Crisis and its Consequences*. Oxford University Press, 1989.** مجلد أكاديمي يحلل (العواقب الدولية).
    - **Gorst, Anthony, and Lewis Johnman. *The Suez Crisis*. Routledge, 1997.** (تحليل موجز وفعال).

2. **دور توني بلير و"العلاقة الخاصة" مع الولايات المتحدة:**

    - ***The Iraq Inquiry (Chilcot Report)*. 2016.** (التقرير الرسمي الذي يوثق بالتفصيل عملية صنع القرار ودور بلير وعلاقته ببوش).
    - **Riddell, Peter. *Hug Them Close: Blair, Clinton, Bush and the 'Special Relationship'*. Politico's, 2004.** (تحليل للعلاقة في فترتي كلينتون وبوش).
    - **Meyer, Christopher. *DC Confidential: The Controversial Memoirs of Britain's Ambassador to the U.S. at the Time of 9/11 and the Iraq War*. Weidenfeld & Nicolson, 2005.** (شهادة مباشرة من السفير البريطاني في واشنطن خلال تلك الفترة الحاسمة).

3. **تدهور المكانة العالمية لبريطانيا والبريكست:**

    - **Shipman, Tim. *All Out War: The Full Story of How Brexit Sank Britain's Political Class*. William Collins, 2016.** (سرد صحفي مفصل لحملة الاستفتاء).
    - **O'Toole, Fintan. *Heroic Failure: Brexit and the Politics of Pain*. Head of Zeus, 2018.** (تحليل ثقافي ونفسي عميق لجذور البريكست).
    - **The UK in a Changing Europe initiative (website and publications).** (مبادرة أكاديمية توفر تحليلاً مستمراً ومستنداً إلى evidence لتبعات البريكست).
    - **Gamble, Andrew. *The Conservative Nation*. Routledge, 2018.** (لوضع البريكست في سياق أوسع من التاريخ السياسي البريطاني).

4. **دور النخبة البريطانية كوكلاء ونفوذ متبقي:**

    - **Vinen, Richard. *The Long '68: Radical Protest and Its Enemies*. Penguin, 2018.** (لوضع التحول في السياق التاريخي الطويل).
    - **Engel, Matthew. *That's the Way It Crumbles: The American Conquest of English*. Profile Books, 2017.** (على القوة الناعمة والتبعية الثقافية).
    - **تقارير عن دور شركات الاستشارات والاستخبارات الخاصة من *The Financial Times* و*The Guardian*.** (لتوثيق ظاهرة خصخصة النفوذ والسياسة).

الفصل الرابع

المستشار السامي: الوجه الحديث للنفوذ

المبحث الأول: تشريح الظاهرة.. من هم؟ ولماذا يُستقدمون؟ وما الثمن؟

بعد أن استعرضنا تحول الإمبراطورية وتقلص دورها المباشر، نصل إلى الآلية الأساسية التي تعيد من خلالها النخب الغربية، وعلى رأسها شخصيات مثل توني بلير، إنتاج نفوذها في العصر الحديث :**ظاهرة المستشارين الغربيين** .لم يعد الاحتلال العسكري المكلف والمكروه هو الأداة المثلى، بل حل محله استعمار أكثر دهاءً وأقل :visibility استعمار النخب عبر عقود الاستشارات باهظة الثمن، الذي يحقق الأهداف ذاتها تحت غطاء من "التحديث" و"الشراكة."

oمن هم؟ تشكيلة "الخبراء" الجدد

ليسوا دبلوماسيين رسميين، لكنهم غالباً ما يكونون **وجوهاً رسمية سابقة** تمنحهم مصداقية ووصولاً لا يتمتع بهما الدبلوماسي التقليدي. تتشكل هذه الطبقة من:

1. **السياسيون السابقون :**وزراء، رؤساء وزراء، ومستشارون كبار (مثل توني بلير، ديفيد بترون، جوناثان باول). هم لا يبيعون خبرة فنية فحسب، بل **يبيعون شبكة علاقاتهم الشخصية** في عواصم القرار الغربية (واشنطن، لندن، بروكسل).
2. **رجال الاستخبارات والمؤسسة الأمنية والعسكرية :**جنرالات متقاعدون، رؤساء أجهزة استخبارات سابقون. هم يقدمون أنفسهم كخبراء في "مكافحة الإرهاب" و"الأمن القومي" و"إصلاح القطاع الأمني"، لكنهم في الواقع **يمارسون دور المستشار السامي القديم** في الشؤون العسكرية والأمنية، بتوجيه سياسات الأمن الداخلي للدول لتصبح متوافقة مع الاستراتيجيات الغربية.
3. **الأكاديميون ورواد :Think Tanks** يقدمون غطاءً "فكرياً" و"علمياً" للسياسات. يقومون بصياغة الرؤى الاستراتيجية وخطط "الإصلاح الاقتصادي" التي تخدم في النهاية تبني النموذج الليبرالي الغربي، وتسهيل اختراق الاقتصاد المحلي للشركات متعددة الجنسيات.

oلماذا تستقدمهم الحكومات؟ شراء الشرعية والوصول

دفع الملايين، وأحياناً المليارات، لهؤلاء المستشارين ليس بدافع حب المعرفة. هناك دوافع استراتيجية:

1. **شراء الشرعية الدولية :(Legitimacy Washing)** وجود اسم كبير مثل توني بلير على قائمة المستشارين يرسل رسالة للغرب مفادها: "انظروا، نحن جادون في الإصلاح، وشخصكم المفضل يعمل معنا". هذا يمنح النظام **غطاءً ضد الانتقادات الدولية** حول سجله في حقوق الإنسان أو الديمقراطية.
2. **الوصول إلى شبكات النفوذ :(Access Purchasing)** هذا هو الدافع الرئيسي. الحكومات، خاصة الخليجية، لا تدفع مقابل "النصيحة" بل مقابل **الوصول إلى الغرف المغلقة في البيت الأبيض، الكونغرس، داونينغ ستريت، و .MI6**المستشار هو **وسيط نفوذ** (Influence Peddler)أو "باب خلفي" مضمون لصناع القرار.
3. **الخبرة التقنية (أو الظاهر منها) :**في بعض الأحيان، تكون هناك حاجة حقيقية للمعارف المتخصصة في إدارة الصناديق السيادية، أو التحول الرقمي، أو الأمن السيبراني. لكن حتى في هذه الحالات، غالباً ما يتم المبالغة في تقدير هذه "الخبرة" وتغليفها بهالة من الغموض لتبرير الرسوم الفلكية.

oما الثمن؟ تفريـغ السيادة وبيع القرار

الثمن لا يُدفع بالدولارات فقط، بل **بالسيادة الوطنية والاستقلال السياسي**:

1. **التأثير على السيادة الوطنية :**عندما تُصاغ رؤية الدولة الأمنية أو الاقتصادية من قبل مستشار أجنبي، حتى لو كان "غير رسمي"، فإن **القرار السيادي ينتقل تدريجياً من المؤسسات الوطنية إلى جهات خارجية** .يصبح المستشار هو "المندوب السامي" الجديد، الذي يصوغ السياسات من داخل القصور.
2. **توجيه السياسات لخدمة أجندات خارجية :**المستشار، consciouslyأو unconsciously، سيميل إلى توجيه السياسات لتصبح متوافقة مع المصالح الاستراتيجية والاقتصادية للدول التي يأتي منها (أو للجهات التي تمول مركز أبحاثه). "الإصلاح الأمني" قد يعني تدريب الأجهزة على أولويات مكافحة الإرهاب كما تُعرّف في واشنطن، وليس كما تفرضها المصالح الوطنية المحلية.
3. **"غسل" الصورة :(Whitewashing)** أخطر الأدوار هو منح **الشرعية الأخلاقية** لأنظمة قمعية. عندما يظهر توني بلير في مؤتمر لتمجيد "رؤية الإصلاح" في دولة ينتقدها العالم، فهو لا يقدم استشارة، بل **يغسل السمعة** .يحول الانتقاد الدولي إلى إشادة دولية مزيفة، مما يمكن النظام من مواصلة سياساته دون ضغوط حقيقية.

المبحث الثاني: سوق الخليج.. المشتري الأكبر للوهم

تعتبر **دول مجلس التعاون الخليجي** القلب النابض لهذه السوق العالمية لـ "المستشارين الساميين"، لعدة أسباب:

- **الوفرة المالية :**تمتلك هذه الدول السيولة النقدية لدفع الرسوم الخيالية التي يطلبها النجوم الكبار مثل بلير.
- **الأجندة الطموحة (رؤية 2030 وغيرها) :**الحاجة الماسة للمعرفة والشرعية الدولية لتحقيق تحولات اقتصادية واجتماعية سريعة.
- **الشعور بعدم الأمن الجيوسياسي :**الخوف من إيران، صعود الإسلام السياسي، والتقلبات الإقليمية يجعلها تسعى لشراء الحماية عبر ضمان الولاء الغربي، والمستشارون هم ضمانة هذا الولاء.
- **نقص الخبرة المحلية العميقة :**في بعض المجالات المتخصصة جداً، قد يكون الاعتماد على الخبرة الخارجية حقيقياً، لكنه غالباً ما يتم استغلاله.

في سوق الخليج، لا يشتري الحكام مجرد نصائح؛ يشترون **العلاقات، الحماية، والشرعية** .يشترون وهم القوة من خلال الاقتراب من أولئك الذين يظنون أنهم still يمتلكونها. وفي هذه السوق، يصبح توني بلير، مهندس غزو العراق، فجأةً "خبيراً" في الاستقرار والإصلاح في المنطقة نفسها التي أشعلها – وهي المفارقة التي تختزل جوهر هذا الفصل :**تحول النفوذ من القوة الصلبة إلى قوة السوق، حيث تُباع السيادة وتُشترى الشرعية، ويصبح المستعمر القديم مستشاراً جديداً.**

مراجع (للتوثيق النهائي):

- **تقارير من *Financial Times* و*The Economist* عن عقود الاستشارات لشخصيات مثل توني بلير في الخليج.**
- **Abdelal, Rawi. *Capital Rules: The Construction of Global Finance*. Harvard University Press, 2007.** (عن دور الخبراء في صياغة السياسات الاقتصادية).
- **Wedel, Janine R. *Shadow Elite: How the World's New Power Brokers Undermine Democracy, Government, and the Free Market*. Basic Books, 2009.** (تحليل رائد لظاهرة نخب الظل والوسطاء غير الرسميين).
- **Hertog, Steffen. *Princes, Brokers, and Bureaucrats: Oil and the State in Saudi Arabia*. Cornell University Press, 2010.** (لفهم سياق العلاقة بين النخب الحاكمة والمستشارين الخارجيين في الخليج).
- **المواقع الإلكترونية والتقارير الصادرة عن "معهد توني بلير للتغيير العالمي**

الفصل الخامس

توني بلير المستشار: تفكيك الشبكة

تحليل الدور المعلن والمخفي: بين "الإصلاح" وبيع النفوذ

بعد أن غادر توني بلير منصبه في داونينغ ستريت عام 2007، لم يختف من الساحة الدولية، بل شهد تحولاً جوهرياً في أدواره وموارده. لم يعد الزعيم السياسي، بل أصبح رجل أعمال دولي يبيع سلعة ثمينة :**نفسه** .من خلال "معهد توني بلير للتغيير العالمي (Tony Blair Institute for " Global Change - TBI)، انتقل بلير من صنع السياسات إلى تسويقها، مدفوعاً بموارد مالية ضخمة من بعض أكثر الأنظمة إثارة للجدل في العالم العربي. هذا الفصل يحلل هذا التحول، مفككاً الفجوة بين الخطاب الرسمي عن "الإصلاح" والممارسات الفعلية لبيع الوصول والتأثير.

oالدول العربية التي عمل معها: العملاء والشركاء

وفقاً للتقارير الموثقة في وسائل الإعلام العالمية والبيانات الرسمية للمعهد، تشمل القائمة الرئيسية لعملاء بلير في المنطقة:

1. **الإمارات العربية المتحدة :**يُعتبر الشيخ محمد بن زايد آل نهيان أحد أبرز داعمي بلير. كشفت تقارير في **"فاينانشال تايمز "**و**"التايمز "**أن حكومة أبوظبي قدمت دعماً مالياً ضخماً لمعهد بلير. في المقابل، قدم بلير المشورة حول "الحوكمة" و"التنمية الاقتصادية"، وكان داعماً قوياً لسياسات الإمارات الإقليمية، بما في ذلك دعمها في حرب اليمن، والتي وصفها بأنها "حرب ضد التطرف"، متجاهلاً التقارير الدولية عن الفظائع التي ارتكبتها القوات التي تقودها الإمارت.
2. **المملكة العربية السعودية :**عمل بلير كمستشار ل**صندوق الاستثمارات العامة** السعودي، الذراع الاستثمارية الأساسية لرؤية 2030 التي يقودها ولي العهد محمد بن سلمان. وفقاً ل**"التايمز"**، تلقت مؤسسة بلير ملايين الجنيهات من الرياض. خلال الأزمة الدبلوماسية التي أعقبت اغتيال الصحفي جمال خاشقجي، ظل بلير صامتاً بشكل لافت، مما أثار تساؤلات حول تضارب المصالح وتأثير التمويل على موقفه الأخلاقي.
3. **الكويت :**أفادت تقارير أن بلير قدم استشارات للحكومة الكويتية، لا سيما في محاولات إصلاح الاقتصاد وتنويع مصادر الدخل. ومع ذلك، غالباً ما يتم إبرام هذه الصفقات behind closed doors، مما يجعل التفاصيل الكاملة للعقود والخدمات المقدمة غامضة.

4. **دول أخرى :**تشير تقارير إلى تعاملات أو محادثات مع قطر وعُمان والأردن، حيث يقدم المعهد نفسه كشريك في "برامج الإصلاح."

oطبيعة المشورة المُعلنة: خطاب "التحديث" و"مكافحة التطرف"

يُغلف معهد بلير عمله بخطاب جذاب ورنان يركز على:

- **الحوكمة والتحول الاقتصادي :**مساعدة الدول على صياغة رؤى وطنية (مثل رؤية 2030 السعودية)، وإصلاح القطاع العام، وجذب الاستثمارات الأجنبية.
- **مكافحة التطرف :**تقديم استشارات أمنية وفكرية حول "مواجهة الخطاب المتطرف" و"تعزيز الاعتدال."
- **التنمية الدينية :**في بعض البرامج، يدعي المعهد العمل على "تجديد الخطاب الديني" لمواجهة التطرف.

oالتحليل والمخفي: تفكيك الشبكة الحقيقية

وراء هذا الخطاب البراق، يكفي تحليل بسيط لاكتشاف الشبكة الحقيقية من المصالح:

1. **الوصول وليس النصيحة :(The Access Game)** القيمة الحقيقية التي يبيعها بلير ليست في تقارير الاستشارات، بل في **الوصول إلى شبكة علاقاته غير المسبوقة** .عندما تدفع حكومة خليجية لبلير، فهي لا تشتري أفكاراً من خبير اقتصادي عادي؛ إنها تشتري قناة اتصال مباشرة إلى البيت الأبيض، ووزارة الخزانة الأمريكية، وداونينغ ستريت، ومراكز الفكر المؤثرة في واشنطن ولندن. إنها **صفقة نفوذ** (Influence Peddling)بحتة.
2. **غسل السمعة :(Reputation Laundering)** هذا هو الجانب الأكثر إثارة للجدل. الأنظمة التي تواجه انتقادات حادة due to سجلاتها في حقوق الإنسان أو سياساتها الإقليمية المثيرة للجدل (مثل الحرب في اليمن) تدفع لبلير ل**غسل سمعتها الدولية** .مجرد وجود اسمه associated مع "برامج الإصلاح" يمنحها غطاءً من المصداقية والاحترام الظاهري، ويحول الانتقادات إلى "تحديات في مسيرة التطوير."
3. **توجيه السياسات لخدمة أجندات خارجية :**من خلال وجوده داخل غرف العمليات، يمكن لبلير وفريقه **توجيه السياسات الداخلية والخارجية** للدول العميلة لتصبح أكثر توافقاً مع الرؤى الغربية (أو على الأقل رؤى حلفاء الغرب الإقليميين). "مكافحة التطرف" يمكن أن تتحول إلى مبرر لقمع المعارضة السلمية، و"الإصلاح الاقتصادي" يمكن أن يعني فتح الأسواق للشركات الغربية بشروط مجحفة.

4. **التمويل الغامض والصراع المحتمل في المصالح :**رفض معهد بلير الكشف العلني عن جميع مموليه وعن قيمة العقود بشكل مفصل. هذا الغموض يثير تساؤلات حادة حول **تأثير هذا التمويل على "النصيحة" المستقلة** التي يقدمها. كيف يمكن لبلير أن ينتقد سياسات السعودية أو الإمارات بشكل موضوعي وهو يتلقى ملايين الدولارات منها؟

الخلاصة: المندوب السامي في عصر العولمة

دور توني بلير كمستشار هو التجسيد المعاصر الأكثر وضوحاً لدور "المندوب السامي" البريطاني. الفرق هو أن الأول كان ممثلاً رسمياً للإمبراطورية، بينما بلير هو **وسيط خاص**، يعمل في السوق المفتوحة، يبيع الوصول والتأثير والشرعية.

- **قديماً :**كان المندوب السامي يحكم مباشرة ويفرض السياسات.
- **حديثاً :**بلير "يقترح" و"ينصح" و"يسهل" من داخل القصور، بنفس النتائج تقريباً.

إنه لا يقدم الخبرة؛ إنه يبيع **الولاء** .ولاءه الشخصي انتقل من الناخب البريطاني إلى من يدفع أكثر. من خلال هذه الآلية، لم تمت أدوات الهيمنة القديمة، بل تم خصخصتها وتحديثها، لتعمل بكفاءة أكبر في عالم ما بعد الاستعمار المباشر.

مراجع (للتوثيق النهائي):

- **Tony Blair Institute for Global Change (TBI) - Official Website:** للاطلاع على الخطاب الرسمي وبيانات العملاء.
- **Financial Times:** "Tony Blair’s consultancy work for UAE revealed".
- **The Times:** "Tony Blair advised Saudi Arabia for £9m".
- **The Guardian:** "Tony Blair's lucrative advise [sic] to Kazakhstan raises questions about his institute's work" (لمناقشة قضية الصراع المحتمل في المصالح).
- **Declassified UK:** تحقيقات حول علاقات بلير وأنشطة معهده.
- **Sky News: "Tony Blair's Institute 'Reputation Laundering' For Saudi Crown Prince, Says Whistleblower"** (أبلغ من داخل المعهد).

o طبيعة المشورة: تفكيك الخطاب البراق

يُغلف معهد توني بلير عمله في المنطقة بخطاب عصري وجذاب، مليء بالمصطلحات التي تلقى ترحيباً في الغرب مثل "الإصلاح الاقتصادي"، "التحول الرقمي"، "مكافحة التطرف"، و"تجديد

الخطاب الديني". ومع ذلك، فإن التحليل النقدي يكشف أن هذه المصطلحات غالباً ما تكون **أغطية مفاهيمية** (Conceptual Covers)تخفي وراءها واقعاً أكثر قتامة وأكثر ارتباطاً بالمصالح الجيوسياسية والاقتصادية. هذا الكتاب يفكك هذا الخطاب ليكشف عن جوهره الحقيقي.

" ♣مكافحة التطرف": من الحماية إلى القمع.. إعادة تعريف الأمن

يدعي بلير وفريقه تقديم خبرة في "مكافحة التطرف" و"بناء القدرات الأمنية ."الممارسة العملية، غالباً ما يتم تفسير هذه الخدمات وتطبيقها على النحو التالي:

1. **إعادة تعريف التطرف ليشمل المعارضة :**يتم توسيع تعريف "التطرف" ليشمل ليس فقط التنظيمات الإرهابية العنيفة مثل "القاعدة" أو "داعش"، بل **كل أشكال المعارضة السياسية أو الدينية أو الإيديولوجية** التي تهدد استقرار النظام الحاكم. تحت هذه الذريعة، يتم:

   - **تسليح الأجهزة الأمنية بأدوات قمع حديثة :**تقديم استشارات حول إنشاء أنظمة مراقبة جماعية، وتطوير أدوات الرقابة على الإنترنت، و"أساليب مكافحة التطرف" التي تتحول عملياً إلى **أدوات لقمع حرية التعبير والسجن التعسفي** لأي صوت ناقد.
   - **تغليف القمع بغلاف تقني "حديث :"**يتم تقديم القمع على أنه "إجراء أمني علمي" لمكافحة الإرهاب، مما يمنحه شرعية زائفة ويخفي طبيعته السياسية.

2. **تحويل الأولوية من الأمن الوطني إلى أمن النظام :**يتم إعادة توجيه مفهوم "الأمن" من حماية الدولة والشعب إلى **حماية النظام الحاكم بشكل أساسي من أي تهديد داخلي** . thus، يتم تحويل الأجهزة الأمنية إلى حراس شخصيين للنخبة الحاكمة، بدلاً من حماة للشعب.

3. **الانزياح عن الجذور الحقيقية للتطرف :**يتم تجاهل التحليل الجذري لأسباب التطرف الحقيقية، مثل الفساد، القمع السياسي، واليأس الاقتصادي، والتركيز فقط على الجانب "الأمني" القمعي، مما يضمن استمرارية دورة العنف.

الخلاصة" :مكافحة التطرف" كما يتم تسويقها غالباً ما تكون **وصفة لتعزيز أدوات القمع** وتوفير غطاء فكري وتقني "غربي" لتصفية الخصوم السياسيين تحت الذريعة Convenient لمحاربة الإرهاب.

" ♣الإصلاح الاقتصادي": من التنمية إلى الهيمنة.. فتح الأسواق

أما بخصوص "الإصلاح الاقتصادي" و"التحول"، فإن الصورة لا تقل قتامة:

1. **خصخصة الثروة وتركيزها :**غالباً ما تأتي نصائح "الإصلاح الاقتصادي" في إطار صيغ **الشراكة بين القطاع العام والخاص (PPP)** وخصخصة الشركات والمؤسسات الحكومية. في الممارسة العملية، وفي بيئة تفتقر إلى الشفافية والمحاسبة، تؤدي هذه السياسات إلى:
   - **إثراء النخبة الحاكمة والمقربة منها :**حيث يتم بيع الأصول الوطنية بأسعار زهيدة لشركات ومستثمرين مقربين من النظام.
   - **تفكيك شبكات الأمان الاجتماعي :**إلغاء الدعم ورفع الأسعار تحت شعار "تحرير الاقتصاد"، مما يزيد من معاناة الطبقات المتوسطة والفقيرة.
2. **فتح الأسواق للشركات الغربية (الاستعمار الاقتصادي)" :**الإصلاح" يعني في كثير من الأحيان **إزالة الحواجز الوقائية** التي تحمي الاقتصاد المحلي والشركات الوطنية الناشئة، لصالح فتح السوق أمام الشركات متعددة الجنسيات الغربية، هكذا يتحول الاقتصاد من إنتاج محلي إلى سوق استهلاكية للبضائع والخدمات الأجنبية، مما يعمق التبعية الاقتصادية للغرب ويقضي على أي أمل في تحقيق تنمية حقيقية مستقلة.
3. **إعادة إنتاج التبعية :**بدلاً من بناء اقتصاد منتج ومستقل، فإن "الإصلاح" الموجه من قبل مستشارين غربيين غالباً ما يحول الدولة إلى **اقتصاد ريعي متطور** :يعتمد على جذب الاستثمارات الأجنبية والعقارات والخدمات المالية، مع إهمال القطاعات الصناعية والزراعية الإنتاجية. هذا يحافظ على هيكل التبعية القديم ولكن بأدوات حديثة.

الخلاصة الشاملة للنقطة :طبيعة المشورة التي يقدمها بلير وغيره من "المستشارين الساميين" هي **إعادة إنتاج هياكل الهيمنة القديمة بأدوات جديدة** .إنهم لا يبنون دولاً مستقلة؛ بل يصممون دولاً **مُدارة** :(Managed States)آمنة بالنسبة للنخبة الحاكمة ومفتوحة بالنسبة لرأس المال الغربي، ومستقرة بشكل مصطنع عبر قمع أي معارضة تحت ذرائع "مكافحة التطرف". إنها الوصاية الاستعمارية الجديدة، ولكن بلباس عصري وبراق، وبتوقيع توني بلير.

oالفرضية: دوره يتجاوز تقديم "نصائح" إلى كونه قناة اتصال غير رسمية بين هذه الحكومات ومراكز القوى في لندن وواشنطن، وشبكة للتأثير على السياسات الداخلية والخارجية لهذه الدول لصالح رؤية غربية (أو أنجلو-أمريكية) للمنطقة.

oالفرضية: القناة غير الرسمية ومهندس التوافق الغربي

الفرضية المركزية لهذا الكتاب هي أن دور توني بلير كمستشار يتجاوز بكثير تقديم "نصائح" تقنية أو إدارية. إنه ليس خبيراً اقتصادياً أو أمنياً عادياً، بل هو **وسيط نفوذ فائق** (Super Influence Broker)و**قناة اتصال سياسية غير رسمية** تعمل على ثلاثة مستويات متشابكة لضمان توافق السياسات الداخلية والخارجية للدول العميلة مع رؤية مصالح معينة (غربية-أنجلو أمريكية وحلفائها الإقليميين).

.1قناة اتصال غير رسمية إلى مراكز القوى: تجاوز الدبلوماسية الرسمية

الدبلوماسية الرسمية often تكون بطيئة، بيروقراطية، وعلنية. بلير يوفر **مساراً سريعاً ومباشراً ومضموناً**:

- **الوصول الشخصي المباشر :**يتمتع بلير بشبكة علاقات شخصية مع نخبة صناع القرار في واشنطن (عبر الجمهوريين والديمقراطيين على حد سواء) ولندن. عندما تريد حكومة خليجية إيصال رسالة حساسة، أو اختبار فكرة ما، أو تجاوز موقف رسمي متشدد في وزارة الخارجية الأمريكية أو البريطانية، فإن بلير يوفر **خطاً ساخناً** موثوقاً به. هو ليس سفيراً، لكن تأثيره قد يفوق تأثير السفير.
- **ترجمة المصالح وتسهيلها :**لا يعمل بلير كساعي بريد. دوره هو **"ترجمة "**مصالح الحكومات العميلة إلى لغة وخطاب مقبولين في العواصم الغربية، والعكس بالعكس. هو يجعل السياسات المثيرة للجدل (مثل حرب اليمن أو حصار قطر) تبدو معقولة أو ضرورية من منظور "مكافحة الإرهاب" أو "الاستقرار الإقليمي" في واشنطن.

.2شبكة للتأثير على السياسات: الهندسة من الداخل

من خلال وجوده داخل أروقة الحكم، يكون لبلير وفريقه القدرة على **تشكيل السياسات من مرحلة التصميم الأولى**:

- **صياغة الأجندة :**من خلال العمل على صياغة "الرؤى" الوطنية (مثل رؤية 2030)، فإنه يضمن أن الأولويات الاستراتيجية للدولة تتماشى مع التصور الغربي للاستقرار والمصالح في المنطقة. يتم تضمين أولويات مثل الخصخصة، والتعاون الأمني الوثيق مع الغرب، ومواجهة إيران كأهداف أساسية.
- **توجيه القرار الخارجي :**تقديم "نصائح" حول كيفية التصرف في أزمات إقليمية معينة لضمان عدم تعارض المواقف مع الاستراتيجية الأنجلو-أمريكية. قد يشمل ذلك نزع فتيل التوترات مع إسرائيل أو تبني موقف متشدد من تركيا أو قطر، dependingعلى الاصطفافات المتغيرة.

.3التوافق مع الرؤية الغربية-الأنجلو أمريكية: الهندسة الإقليمية

الهدف النهائي غير المعلن هو تشكيل منطقة **الشرق الأوسط الكبير** وفقاً للتصور الذي تمت صياغته في واشنطن ولندن بعد أحداث 11 سبتمبر، ولكن بأدوات أكثر دهاءً:

- **ضمان الولاء :**التأكد من أن الحكومات العميلة تبقى داخل الفلك الغربي، محمية من التأثيرات الروسية أو الصينية المتنامية.
- **تعزيز التطبيع مع إسرائيل :**استخدام النفوذ لدفع العلاقات مع إسرائيل تحت غطاء المصالح الاقتصادية والأمنية المشتركة، متجاوزاً القضية الفلسطينية.
- **إدارة الصراع :**ليس بالضرورة لحل الصراعات، بل لإدارتها بشكل لا يهدد المصالح الحيوية مثل أمن إسرائيل أو تدفق النفط.

الخلاصة: مهندس التبعية الحديثة

Thus، فإن فرضيتنا تؤكد أن توني بلير هو **مهندس التبعية الحديثة** .إنه لا يقدم المشورة؛ إنه **يضمن الولاء** .لا يبيع الأفكار؛ يبيع **الوصول والتوافق** .دوره هو ضمان استمرارية الهيمنة الغربية على المنطقة ليس عبر الاحتلال المباشر، بل عبر **إدارة النخب الحاكمة** وتصميم سياساتها الداخلية والخارجية لتصبح متوافقة هيكلياً مع مشروع الهيمنة.

هذا هو الدور الذي كان يمارسه المندوب السامي البريطاني تاريخياً: ضمان أن قرارات الحكام المحليين تخدم مصالح الإمبراطورية. الفرق اليوم هو أن هذا الدور تم خصخصته. توني بلير هو **مندوب سامي خاص،** يعمل في السوق الحرة للنفوذ، مسؤول أمام من يدفع له، وليس أمام البرلمان أو الشعب البريطاني. إنه تجسيد لاستعمار ما بعد الحداثة: أقل عنفاً ظاهرياً، وأكثر دهاءً، وفي النهاية، ربما أكثر فعالية.

oالأجر: كم يتقاضى؟ ومن أين؟ (تحليل التقارير المالية للمعهد الخاص به).

oالأجر: كم يتقاضى؟ ومن أين؟ تشريح اقتصاديات النفوذ

مسألة تمويل معهد توني بلير (TBI) وأجره الشخصي ليست مجرد تفاصيل مالية عابرة، بل هي المفتاح لفهم طبيعة عمله الحقيقية وحجم **تضارب المصالح الهائل** الذي يلوث دوره "الاستشاري". فشل المعهد في الكشف الشفاف عن موارده يثير أسئلة عميقة: من يدفع؟ وكم يدفع؟ ومقابل أي شيء بالضبط؟

كم يتقاضى؟ الأجور الخفية وتضخم الثروة

1. **الأجر المباشر والثروة الشخصية :**لم يكشف بلير أو معهده علناً عن راتبه الدقيق من TBI. however، تشير تقارير إخبارية إلى أن ثروته الشخصية قفزت **بمئات الملايين من**

الجنيهات الإسترلينية منذ مغادرته منصبه عام 2007. هذه الثروة لا تأتي من كتبه أو خطاباته فقط، بل من **عقود الاستشارات الضخمة** التي يتعامل بها معهدّه مع حكومات العالم.

2. **تمويل المعهد: الأرقام الفلكية والغموض المتعمد** TBI **:**هو مؤسسة غير ربحية، لكن هذا لا يعني أنها لا تجني أموالاً طائلة. وفقاً للتقارير:
   - في عام 2022، بلغت إيرادات TBI **£61.3 مليون**)حوالي 78 مليون دولار أمريكي.(
   - يُعتقد أن جزءاً كبيراً من هذه الإيرادات يأتي من **حكومات الخليج**، خاصة الإمارات والسعودية.
   - تصل قيمة بعض العقود الفردية إلى **ملايين الجنيهات سنوياً** من كل عميل حكومي.

من أين؟ تشريح مصادر التمويل المشبوهة

مصادر تمويل TBI هي أحد أكثر الأمور غموضاً وإثارة للجدل، وتكشف عن شبكة من العلاقات الخطيرة:

1. **حكومة الإمارات العربية المتحدة :**كشفت تقارير **فاينانشال تايمز** أن TBI تلقى **عشرات الملايين من الدولارات** من أبوظبي. هذه الأموال تخلق صراع مصالح صارخ، حيث يقدم بلير نفسه كمحايد بينما هو ممول من طرف في نزاعات إقليمية (مثل الحرب في اليمن).
2. **حكومة السعودية :**وفقاً لتقارير **التايمز**، عقد TBI صفقة استشارية مع **صندوق الاستثمارات العامة** السعودي قيمتها **حوالي 9 ملايين جنيه إسترليني سنوياً** .هذا التمويل مباشرة من الذراع المالية لولي العهد محمد بن سلمان يطرح تساؤلات حول استقلالية "النصيحة" المقدمة، خاصة في أعقاب أحداث مثل اغتيال جمال خاشقجي.
3. **جهات أخرى :**تشير تقارير إلى تمويل محتمل من **الكويت** و**قطر** و**كازاخستان** (وهي دولة ذات سجل سيء في حقوق الإنسان)، مما يعمق من أزمة المصداقية.
4. **الغموض المتعمد :**يرفض TBI الكشف العلني الكامل عن جميع مموليه وقيمة كل عقد بشكل مفصل. هذا **السرية المتعمدة** هي في حد ذاتها إشارة على أن هناك ما يُخفي، وأن طبيعة هذه العلاقات المالية قد لا تتحمل التدقيق العام.

مقابل أي شيء؟ الربط بين الدفع والخدمة

الدفع بهذه الضخامة ليس مقابل تقارير استشارية عادية. الثمن يتناسب مع **قيمة الخدمة الحقيقية** التي يقدمها بلير، والتي تتمثل في:

1. ****وساطة النفوذ :(Access Peddling)** الدفع مقابل **الوصول المضمون** إلى أعلى levels of powerفي واشنطن ولندن. هذه الخدمة لا تقدر بثمن للحكومات التي تريد تجاوز القنوات الدبلوماسية البطيئة.
2. ****غسل السمعة :(Reputation Laundering)** الدفع مقابل **الشرعية الدولية** .وجود اسم بلير associated مع "إصلاحات" النظام يمنحه غطاءً من المصداقية ويصعب على المنتقدين مهاجمته.
3. ****توجيه السياسات :(Policy Influence)** الدفع مقابل **ضمان** أن السياسات الاقتصادية والأمنية للدولة العميلة تتماشى مع المصالح الغربية والإقليمية للحلفاء.

الخلاصة: اقتصاديات الفساد الحديث

تمويل معهد توني بلير يمثل نموذجاً لما يمكن تسميته **"اقتصاديات الفساد الحديث "**أو **"بيع النفوذ في السوق العالمية**:It is a system where .**"**

- **الدفع :**من قبل أنظمة غير ديمقراطية ذات ثروات نفطية.
- **الخدمة :**شرعية دولية، ووصول سياسي، وتأثير على القرار.
- **الثمن :**التخلي عن الاستقلالية الحقيقية وتعميق التبعية.

Thus، فإن أجر بلير هو ليس أجر خبير، بل هو **عمولة وساطة سياسية** ضخمة It is the . price tag on influence.وهو دليل مادي على أن دوره ليس "استشارياً" بريئاً، بل هو وسيلة ** لخصخصة وتجاوز الدبلوماسية العامة لخدمة أغراض خاصة، مما يقوض بشكل صارخ مبادئ الحوكمة الرشيدة والشفافية التي يزعم هو نفسه أنه يروج لها.

....

الفصل السادس

خطورة الظاهرة: الاستشاريون الغربيون وسرقة القرار السيادي

توسيع نطاق التحليل: من بلير إلى وباء الوسطاء الجدد

بينما يمثل توني بلير الحالة الأكثر بروزاً ورمزية، فإنه مجرد عرض لمرض أعمق :**ظاهرة انتشار المستشارين الغربيين الدوليين** كوسيلة جديدة لهندسة السياسات وتوجيه القرار في الدول العربية والدول النامية. هذا الفصل يوسع نطاق التحليل ليكشف كيف أن هذه الظاهرة، بمجملها، تشكل تهديداً منهجياً للسيادة الوطنية وتعمق التبعية بشكل قد يكون أكثر خطورة من الأدوات الاستعمارية التقليدية.

كيف تساهم هذه الظاهرة في إضعاف الدولة الوطنية؟

1. **إضعاف المؤسسات الوطنية وإهدار الكفاءات المحلية:(Institutional Decay)**
   - **الاستعاضة عن البناء بالاستيراد :**بدلاً من استثمار الموارد في بناء مؤسسات محلية قوية وتطوير الكفاءات الوطنية، يتم **استيراد الحلول الجاهزة** من خلال هؤلاء المستشارين. هذا يؤدي إلى إضعاف المؤسسات على المدى الطويل وحرمانها من تطوير خبراتها الذاتية.
   - **تآكل الثقة بالنخب المحلية :**الاعتماد الدائم على "الخبراء الأجانب" يرسل رسالة مدمرة مفادها أن النخب المحلية غير قادرة على إدارة شؤون البلاد، مما يقوض شرعيتها ويثبط همم الكفاءات الشابة.
2. **تحويل السياسات إلى "منتجات مستوردة" غير ملائمة (Policy Inappropriateness):**
   - **حلول عامة لمشاكل خاصة :يتم تطبيق نماذج من السياسات تسمى السياسات الجاهزة ("One-size-fits-all")** مصممة في مكاتب لندن وواشنطن، دون مراعاة السياق التاريخي والثقافي والاجتماعي الفريد لكل دولة. ما يصلح في السويد قد يكون كارثياً في الصحراء العربية.
   - **إغفال الأولويات الحقيقية :**يتم توجيه أجندة الإصلاح نحو أولويات تخدم مصالح النخبة الحاكمة وشركائها الخارجيين (مثل الخصخصة السريعة، إصلاحات التقشف) على حساب الأولويات الحقيقية للمواطنين (مثل الصحة، التعليم، العدالة الاجتماعية).
3. **تحصين الأنظمة ضد الإصلاح الحقيقي**:(Immunizing Autocracy)**

- **"غسل الدماغ بالاستشارات :(Consultancy Wash) "**وجود مستشارين غربيين مرموقين يوفر للأنظمة **غلافاً من الشرعية التكنوقراطية**، مما يمكنها من رفض مطالب الإصلاح الديمقراطي الحقيقي تحت ذريعة أن "خبراء عالميين" يشاركون في عملية الإصلاح بالفعل!
- **أداة لتحسين الصورة دون جوهر :(Spin over Substance)** يتم استخدام التقارير التي يعدها هؤلاء المستشارين **كأدوات دعائية** لتحسين صورة النظام internationally، بينما يتم تجاهل التوصيات الحقيقية التي قد تمس مصالح النخبة الحاكمة إذا نُفذت.

4. **استنزاف الموارد المالية للدول:(Financial Drain)**

- **الفاتورة الفلكية للوهم :**تصل قيمة عقود هؤلاء المستشارين إلى **مئات الملايين من الدولارات** سنوياً. هذه أموال تُسحب من الخزينة العامة (التي يعتمد معظمها على عرق المواطنين أو ثرواتهم الطبيعية) وتُمنح لشركات واستشارات غربية، دون ضمان واضح لأي عائد حقيقي أو تنمية مستدامة.
- **اقتصاد الريع الجديد :**تتحول "الاستشارة" إلى شكل جديد من **اقتصاد الريع**، حيث تنتقل الثروة الوطنية مباشرة إلى جيوب النخب الغربية وحلفائهم المحليين، دون إنتاج أي قيمة مضافة حقيقية للمجتمع.

الخلاصة: الاستعمار الجديد ببدلة رسمية وفاتورة باهظة

ظاهرة المستشارين الدوليين هي **الاستعمار الجديد في عصر العولمة** .إنها لا تقل خطورة عن سابقاتها، بل قد تكون أكثر خبثاً:

- **قديماً :**كان الاستعمار يفرض إرادته عبر الجنود والمدافع، وكان واضحاً للعيان ويمكن مقاومته.
- **حديثاً :**تُفرض الهيمنة عبر **أوراق التقارير الاستشارية، والعروض التقديمية في البوربوينت، وشبكات العلاقات الشخصية** .المُستعمر الجديد لا يرتدي خوذة عسكرية، بل يرتدي بذلة أرماني ويحمل حقيبة أوراق من جلد حتى هو لا يأمر بل "ينصح". وهو لا يسرق الأرض، بل يسرق **القرار السيادي** ويستنزف **الموارد المالية** تحت غطاء من المساعدة والخبرة.

هكذا، فإن هؤلاء المستشارين ليسوا مساعدين محايدين؛ هم **مهندسو التبعية الحديثة** .إنهم يسرقون من الدول أهم ما تملك: حقها في تقرير مصيرها بنفسها، وحقها في بناء مؤسساتها،

وثرواتها المالية التي يجب أن تُستثمر في شعبها، وليس في شراء الوهم والتبعية من متاجر النفوذ الغربية. توني بلير هو مجرد الوجه الأكثر شهرة لهذه الآلة الواسعة والمدمرة.

كيف يساهم هؤلاء المستشارون في:

oإضعاف المؤسسات الوطنية والكفاءات المحلية

تتم عملية الإضعاف هذه عبر آليتين رئيسيتين:

1. **إحداث "شلل التعلم المؤسسي :(Institutional Learning Paralysis)** "عندما يتم استيراد الحلول الجاهزة من الخارج، تُحرم المؤسسات الحكومية والكوادر المحلية من أهم عملية على الإطلاق :**التعلم من خلال التجربة والخطأ والتكيف** .بناء السياسات محلياً هو عملية تراكمية تخلق ذاكرة مؤسسية وخبرة تراكمية. المستشار الخارجي يقفز على هذه العملية، مما يخلق **تبعية دائمة** على الخبرة الأجنبية ويحول الموظف المحلي إلى مجرد "منفذ" سلبي لتوصيات لا يفهم أبعادها الكاملة، " instead of beingصانع سياسات" مبتكر.
2. **استنزاف العقول :(Brain Drain towards the Consultant)** يتم جذب أفضل الكفاءات المحلية للعمل **ضمن فرق المستشارين الدوليين** ذات الرواتب الفلكية، بدلاً من العمل في المؤسسات الحكومية الوطنية ذات الرواتب المتواضعةthus ،. Instead ofبناء دولة، تصبح هذه الكفاءات **عمالاً مؤقتين** في مشاريع المستشار، مما يعمق أزمة العجز في القدرات المحلية. يتم تحويل النخبة المحلية من خادمة للمصلحة العامة إلى **وسيط** بين المستشار الأجنبي والنظام الحاكم.

oتحويل السياسات إلى "منتجات" جاهزة مستوردة من الخارج لا تناسب البيئة المحلية

هنا يعمل المستشارون كـ **بائعي سياسات** (Policy Vendors)وليس كمحللين:

1. **تفكيك السياق وإعادة تركيبته قسراً :**النموذج الغربي (مثل الليبرالية الجديدة في الاقتصاد، أو اللامركزية في الحكم) يتم تعبئته كـ **حزمة عالمية صالحة لكل زمان ومكان** . يتم تجاهل التعقيدات المحلية (التركيبة القبلية، التاريخ الاستعماري، البنية الدينية) أو تحريفها ل**تتوافق مع القالب الجاهز** .على الأرض، هذا يعني فشلاً ذريعاً: خصخصة خدمات أساسية في مجتمعات فقيرة تزيد من عدم المساواة ، أو تطبيق نماذج ديمقراطية شكلية في أنظمة سياسية غير مهيأة فتنقلب إلى فوضى.

2. **لغة معقدة لإخفاء الفراغ :(Technocratic Obfuscation)** يتم تغليف هذه المنتجات بلغة تقنية معقدة) مؤشرات أداء، نماذج تحليل، (matrices لجعلها تبدو "علمية" وصعبة النقد. أي معارضة لها يمكن وسمها بأنها "جهل" أو "رجعية" أو "معاداة للتحديث". هذه اللغة التكنوقراطية تصبح **أداة لإسكات النقاش الديمقراطي** حول السياسات العامة وتحويلها إلى مسألة "فنية" يتحكم بها الخبير الأجنبي فقط.

oتحصين الأنظمة ضد المطالب الشعبية للإصلاح

يمثل المستشارون **الدرع التكنوقراطي** للنظام:

1. **الاستقرار = بقاء النظام :Status Quo** يتم تصوير أي مطالب شعبية بالإصلاح السياسي أو محاربة الفساد على أنها تهديد لـ "الاستقرار" و"الإصلاحات الاقتصادية" التي يقودها المستشار .وهكذا، يتم تحويل مطالب العدالة إلى تهديد أمني.

2. **مكافحة الإرهاب = قمع المعارضة :**تحت الغطاء الذي يوفره المستشارون الأمنيون، يتم **إعادة تعريف المعارضة السلمية على أنها شكل من أشكال "التطرف** ."يتم تقديم الاستشارات حول إنشاء أنظمة مراقبة جماعية وتوسيع صلاحيات الأجهزة الأمنية تحت ستار"مكافحة الإرهاب"، بينما الاستخدام الفعلي هو قمع أي صوت معارض.

3. **الشرعية عبر الخبرة الدولية :(Legitimacy by Association)** مجرد وجود مستشار غربي مرموق يمنح النظام **غطاءً من المصداقية** .يمكن للنظام أن يرد على أي انتقاد داخلي أو خارجي بالقول: "كيف تنتقدوننا؟ إن أفضل الخبراء العالميين يعملون معنا ويمدحون إصلاحاتنا ."!وهكذا، يصبح المستشار **أداة لغسل السمعة** (Whitewashing)وإسكات النقد.

oاستنزاف الموارد المالية للدول مقابل خدمات غامضة القيمة

هذه هي المعادلة الاقتصادية الكارثية:

1. **الفاتورة المالية الفلكية :**تستهلك عقود المستشارين **ملايين، بل مئات الملايين من الدولارات** من المال العام. هذه أموال كان من الممكن أن تُوجه لبناء مستشفيات، جامعات، أو بنية تحتية.

2. **غموض القيمة وعدم القابلية للقياس :(Lack of Accountability)** كيف تقيس "نجاح" استشارة سياسية؟ غالباً ما تكون "التوصيات "**غامضة، عامة، وغير قابلة للقياس** .إذا فشلت السياسة، يتحمل المسؤولية النظام المحلي وليس المستشار. إذا "نجحت"، يتم الادعاء بأن الفضل يعود لنصيحة المستشار .وهكذا، فهو رابح في جميع الحالات.

3. **اقتصاد الريع الجديد (The New Rentier Economy):** تتحول الثروة الوطنية (النفط، الغاز) إلى **ريع** لا يُستثمر في التنمية، بل يُنقل مباشرة إلى جيوب شركات الاستشارات الدولية والنخب المحلية المرتبطة بها. هذا يعمق نموذج الاقتصاد الريعي بدلا من تحويله إلى اقتصاد إنتاجي.

الخلاصة :المستشارون الدوليون لا يقدمون "مساعدة"، بل هم **أدوات في آلة إعادة إنتاج التبعية وإضعاف الدولة الوطنية** .هم ليسوا حلاً، بل هم جزء من المشكلة الأساسية. وجودهم المكثف هو دليل على أزمة السيادة، وليس حلاً لها.

مراجع الفصل السادس:

:المراجع الأساسية

1. **المراجع الأكاديمية (للتحليل النظري والهيكلي):**

   - **Wedel, Janine R. (2009). *Shadow Elite: How the World's New Power Brokers Undermine Democracy, Government, and the Free Market*. Basic Books.**
     - المرجع الأساسي لتحليل ظاهرة "نخب الظل" التي تعمل خارج المؤسسات الرسمية (وتستفيد من الغموض لتحقيق نفوذ هائل، وهو ينطبق تماماً على حالة المستشارين الدوليين).
   - **Ferguson, James. (1990). *The Anti-Politics Machine: "Development," Depoliticization, and Bureaucratic Power in Lesotho*. Cambridge University Press.**
     - عمل كلاسيكي يشرح كيف تحول مشاريع "التنمية" والخبرة الفنية إلى أداة لإفراغ السياسة (من محتواها وتعزيز السيطرة البيروقراطية، وهو ينطبق على خطاب المستشارين التكنوقراطي).
   - **Mitchell, Timothy. (2002). *Rule of Experts: Egypt, Techno-Politics, Modernity*. University of California Press.**
     - يحلل كيف يتم استخدام الخبرة والتقنية ("التكنوبوليتيك") كأدوات للهيمنة وإدارة السكان، ("مما يوفر إطاراً لفهم دور المستشارين كـ "مهندسين اجتماعيين).
   - **Abdelal, Rawi. (2007). *Capital Rules: The Construction of Global Finance*. Harvard University Press.**
     - يوضح كيفية فرض المعايير والقواعد الاقتصادية الغربية على المستوى العالمي من خلال (شبكات من الخبراء والمسؤولين، مما يوضح الآلية التي يعمل بها المستشارون الاقتصاديون).

2. **تقارير وتحليلات مؤسسية (توثيق الآثار الملموسة):**

- **World Bank & IMF Reports.**
  - ها behind يقف often تقارير تقييمية لمشاريع الإصلاح الاقتصادي والهيكلي التي) مستشارون غربيون. النقد الموجه لها هو التركيز على المؤشرات الكمية وإغفال الآثار الاجتماعية والسياسية).
- **Reports from Human Rights Watch (HRW) and Amnesty International.**
  - توثق كيف يتم استخدام خطاب "مكافحة الإرهاب" والأمن الذي يروج له المستشارون) الأمنيون لتبرير القمع واسع النطاق وانتهاكات حقوق الإنسان في العديد من البلدان).
- **Transparency International Reports.**
  - تكون عقود الاستشارات الكبرى often تتناول قضايا الفساد والصفقات غير الشفافة، والتي) جزءاً منها).

3. **مراجع عن اقتصاديات الريع والتبعية:**
   - **Beblawi, Hazem, and Giacomo Luciani (eds.). (1987). *The Rentier State*. Croom Helm.**
     - يقدم النظرية الكلاسيكية للدولة الريعية، والتي تساعد في فهم كيف أن تدفق الأموال من) الثروات الطبيعية (كالنفط) يسهل إنفاقها على استشارات غامضة بدلاً من بناء مؤسسات منتجة).
   - **Hertog, Steffen. (2010). *Princes, Brokers, and Bureaucrats: Oil and the State in Saudi Arabia*. Cornell University Press.**
     - يوضح بالتفصيل كيف تشكل اقتصاد وساطة وهياكل سلطة في دولة ريعية خليجية، مما) يوفر سياقاً لظهور "وسيط" جديد هو المستشار الدولي).
4. **مراجع صحفية وتحقيقات:**
   - **The Economist: "The consultancy con" (2023) and similar articles.**
     - تحليلات لصناعة الاستشارات العالمية وتكلفتها الباهظة وشكوك حول قيمتها الفعلية).
   - **Financial Times: Investigations into McKinsey, Boston Consulting Group (BCG), and other major firms' work in authoritarian states.**
     - تحقيقات توثق كيف تعمل كبرى شركات الاستشارات مع أنظمة قمعية وتقدم لها خدمات) قد تستخدم لقمع المعارضة).
   - **The Guardian: Reports on the role of Western security consultants in training oppressive security forces.**
   - **تقارير عربية من منصات مثل "منصة" أو "مدى مصر" أو "المنظمة العربية للإصلاح الجنائي" تُركز على تدخل المستشارين الأمنيين الغربيين وتأثيرهم على سياسات القمع الداخلي.**

الخاتمة

من المندوب السامي إلى المستشار السامي: الاستعمار بلغة جديدة

ها قد وصلنا إلى نهاية رحلتنا في تفكيك ظاهرة توني بلير وما يمثله. لقد انتقلنا من المندوب السامي التاريخي، الذي كان يجسد الهيمنة الاستعمارية المباشرة بقوة الجيش والعصا، إلى المستشار السامي المعاصر، الذي يجسد هيمنة من نوع جديد: هيمنة تتميز بالدهاء والمرونة، وتعمل في الظل غالباً، لكنها لا تقل خطورة أو تأثيراً.

إعادة ربط الخيوط: الاستعمار في ثوب جديد

نموذج توني بلير ليس ظاهرة منعزلة أو جديدة؛ بل هو **استمرار عضوي للظاهرة الاستعمارية،** لكنه استعار أدوات العصر ليبقى فعالاً:

- **قديماً :**كانت الأدوات هي **البارجة الحربية** والجيش والإدارة المباشرة. كان المندوب السامي يمثل سلطة الإمبراطورية المباشرة.
- **حديثاً :**أصبحت الأدوات هي **العقد الاستشاري،** وشبكات العلاقات، والرأسمال المالي، وخطاب "الإصلاح" و"التحديث". المستشار السامي يمثل سلطة **شبكة مصالح دولية** تتمركز في واشنطن ولندن وتعمل عبر وكلاء محليين.

لقد تم استبدال الاستعمار الإقليمي (احتلال الأرض) بـ **"استعمار النخب"،** حيث يتم اختراق مراكز صنع القرار في الدول "العميلة" وتوجيه سياستها من الداخل، بدلاً من إدارتها من الخارج. الثروة الوطنية تُنقل ليس عبر الضرائب المباشرة للإمبراطورية، بل عبر **عقود الاستشارات** الباهظة التي تذهب إلى جيوب الوسطاء.

مندوب سامي لمن؟ تحول الولاء من التاج إلى السوق

هل توني بلير مجرد "مندوب سامي" بريطاني؟ الإجابة أكثر تعقيداً. هو تجسيد لتحول جوهري:

- **لم يعد ولاؤه القومي حصرياً لبريطانيا،** التي فقدت إمبراطوريتها وأصبحت شريكاً ثانوياً. دوره تجاوز خدمة التاج البريطاني وحده.
- هو في الحقيقة **"مندوب سامي" للنموذج الليبرالي-الإمبريالي الغربي،** الذي تقوده الآن واشنطن بشكل أساسي، وتشاركه لندن كشريك مخلص. هو يعمل لصالح تحالف مصالح يشمل:

- **مراكز القوى في واشنطن** (المحافظين الجدد، المجمع العسكري-الصناعي، الشركات متعددة الجنسيات)
- **الحلفاء الإقليميين** الأقوياء (مثل الإمارات والسعودية)، الذين أصبحوا شركاء في المشروع وأدوات لتنفيذه.
- **شبكة المصالح المالية العالمية** التي تفضل الاستقرار القمعي على الديمقراطية الفوضوية.

بلير، therefore، هو **وسيط ووكيل** في هذه الشبكة المعقدة. قيمته تكمن في قدرته على التحرك بين هذه الأطراف جميعاً، وتلميع سمعتها، وتسهيل عملياتها.

التكهن بالمستقبل: مستقبل مبهم للسيادة العربية

ماذا يعني استمرار هذه الظاهرة لمستقبل المنطقة؟

1. **استمرار تآكل السيادة :**ستستمر عملية **تفريـغ الدولة الوطنية من مضمونها** .سيتم اتخاذ القرارات الاستراتيجية بشكل متزايد بناء على "نصيحة" خارجية، أو بهدف إرضاء حلفاء خارجيين، وليس بناء على إرادة الشعب أو المصلحة الوطنية الحقيقية.
2. **تعميق التبعية والتبعية :**ستبقى الاقتصادات العربية **هشة وغير منتجة**، مرتبطة ببيع المواد الخام وشراء الخدمات الاستشارية والأمنية. بدلاً من بناء القدرات المحلية، سيتعمق الاعتماد على الخبرة الأجنبية، مما يخلق حلقة مفرغة من التبعية.
3. **تفجير المزيد من السخط والاحتقان :**فشل النموذج المستورد في تحقيق تنمية حقيقية، تتسق مع قمع أي معارضة تحت ذريعة "مكافحة الإرهاب" التي يروج لها المستشارون، سيؤدي حتماً إلى **تراكم المزيد من السخط الشعبي** .قد يؤدي هذا إلى انفجارات اجتماعية عنيفة في المستقبل، شبيهة بثورات الربيع العربي ولكن في ظل ظروف أكثر قتامة وتعقيداً.
4. **صراع على الوكالة :**قد تصبح المنطقة ساحة لـ **صراع بين وسطاء نفوذ** تابعين لقوى عالمية مختلفة (الغرب، روسيا، الصين)، كل منهم يدفع بأجندته ومستشاريه، مما يزيد من تعقيد المشهد ويجعل السيادة الوطنية حلماً أكثر بعداً.

الختام: المعركة القادمة

المعركة القادمة في العالم العربي ليست فقط مع الفساد الداخلي أو التخلف، بل هي أيضاً **معركة ضد استعمار جديد متخفٍ بأزياء حديثة** .إنها معركة لاستعادة **حق تقرير المصير**، ليس فقط من الاحتلال العسكري المباشر، ولكن من هيمنة الخبراء والوسطاء وأصحاب الخطاب البراق الذين يسرقون القرار والسيادة والثروات.

التحدي الأكبر هو وعي هذه الآلية الجديدة للهيمنة ومقاومتها ليس بالشعارات القديمة فقط، بل **ببناء مؤسسات وطنية حقيقية**، وتطوير كفاءات محلية مستقلة، واستعادة الثقة بالنفس والقدرة على اتخاذ القرار. فقط عندها يمكن تحطيم تمثال المستشار السامي الجديد، كما تم تحطيم تمثال المندوب السامي القديم.

الملاحق .1 :جدول زمني يربط بين أحداث مهمة في حياة بلير والتاريخ البريطاني والعربي .2 .قائمة بمقابلات أو تصريحات لبلير حول العالم العربي.

الملاحق

الملحق 1: جدول زمني يربط أحداثًا مهمة في حياة توني بلير بالتاريخ البريطاني والعربي

السنة	الحدث في مسيرة توني بلير	الحدث في التاريخ البريطاني	الحدث في التاريخ العربي
1994	يصبح زعيمًا لحزب العمال.	استمرار هيمنة المحافظين بقيادة جون ميجر.	
1995	**يلغي البند الرابع** من دستور حزب العمال، مُتخلّيًا رسميًا عن الاشتراكية.		
1997	**ينتخب رئيسًا للوزراء** لأول مرة.	نهاية 18 عامًا من حكم المحافظين.	
1998			فرض **عقوبات شديدة على العراق** في إطار سياسة "الاحتواء المزدوج."
2001	**يدعم غزو أفغانستان** بعد هجمات 11 سبتمبر، مُطلقًا خطابًا أيديولوجيًا يدعو لـ"معركة الحضارة."	بريطانيا تشارك بقوة في التحالف الدولي بقيادة أمريكا.	
2003	**الذروة: غزو العراق** .يلعب دورًا محوريًا في الترويج لذرائع الحرب (أسلحة الدمار الشامل).	أكبر مظاهرات في تاريخ بريطانيا تعارض الحرب.	**غزو العراق والإطاحة بصدام حسين**، مما أدى إلى تفكيك الدولة واشتعال حرب أهلية.
2006	يواجه انتقادات حادة بعد نشر تقرير ينتقد إدارة ما بعد الغزو.	حرب لبنان بين إسرائيل وحزب الله.	
2007	**يستقيل من منصبه** كرئيس للوزراء.		

2007	**يُعيّن مبعوثًا للرباعية الدولية** إلى الشرق الأوسط.		انقسام فلسطيني داخلي عميق بين فتح وحماس.
2008		الأزمة المالية العالمية تضرب الاقتصاد البريطاني.	
2010			**اندلاع ثورات الربيع العربي** في تونس ومصر.
2011			**اندلاع الحرب الأهلية في سوريا.**
2014		استفتاء استقلال اسكتلندا الذي رُفض.	**صعود تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش)** في العراق وسوريا.
2016		**استفتاء البريكست** : للخروج من الاتحاد الأوروبي.	
2016	**تقرير تشيلكوت** ينتقد بشدة دوره في حرب العراق.		
2017			**الحصار الدبلوماسي على قطر** بقيادة السعودية والإمارات.
2020		**بريطانيا تخرج رسميًا من الاتحاد الأوروبي.**	
2021			**الانسحاب الأمريكي من أفغانستان** وعودة طالبان إلى السلطة.

الملحق 2: قائمة انتقائية لتصريحات توني بلير حول العالم العربي

1. **خطاب غزو العراق:(2003)**

   - **الاقتباس" :**الخطر ليس خيالياً. الخطر حقيقي. لا يمكننا الانتظار حتى يصبح هذا الخطر وشيكًا".
   - **السياق :**خطاب في البرلمان البريطاني لتبرير غزو العراق بناء على ادعاءات امتلاك أسلحة دمار شامل.

- **الدلالة :**تجسيد للثقة المفرطة والاعتماد على معلومات استخباراتية مشكوك فيها.

2. **حول "التدخل الدولي" (بعد الربيع العربي):**

- **الاقتباس" :**الشرق الأوسط بحاجة إلى إستراتيجية شاملة... لا يمكننا ببساطة ترك المنطقة تتجه إلى الفوضى".
- **السياق :**مقالات وخطابات يدعو فيها إلى تدخل غربي أكثر فعالية في المنطقة.
- **الدلالة :**استمرار تبني عقيدة "التدخل الإنساني" أو "مسؤولية الحماية" كذريعة للتأثير في الشؤون الداخلية.

3. **حول الحرب على الإرهاب:**

- **الاقتباس" :**هذه معركة أيديولوجية... يجب أن ندعم بقوة الحكومات التي تقف في وجه التطرف".
- **السياق :**تعليقات على الحرب في سوريا ومكافحة تنظيم "الدولة الإسلامية."
- **الدلالة :**توفير غطاء أيديولوجي لأنظمة قمعية تحت ذريعة مكافحة الإرهاب.

4. **حول الدور في الرباعية (مقابلة مع *ذي جيورسيلم بوست*، 2014):**

- **الاقتباس" :**العنف يأتي من الجانب الفلسطيني أيضًا... يجب على الفلسطينيين قبول بعض الحقائق على الأرض".
- **السياق :**دفاع عن موقف إسرائيل وانتقاد للجانب الفلسطيني.
- **الدلالة :**انحياز واضح للرواية الإسرائيلية، مما يقوض ادعاء الحياد كوسيط.

5. **دفاعًا عن علاقته بحكومات الخليج (مقابلة مع *بي بي سي*، 2021:(**

- **الاقتباس" :**نحن نعمل في أماكن صعبة engagement ...هو أفضل من العزلة".
- **السياق :**ردًا على انتقادات لعمله الاستشاري مع أنظمة.autocratic
- **الدلالة :**استخدام خطاب براغماتي لتبرير التعامل المربح مع أنظمة تنتقدها منظمات حقوق الإنسان.

الملحق 3-4 .3وثائق مهمة (مثل تقرير تشيلكوت حول حرب العراق) .4 .شبكة المصالح: رسم بياني مبسط يوضح العلاقات بين معهد بلير، الحكومات العربية، ومراكز القوى الغربية.

الملاحق(3-4)

الملحق 3: وثائق مهمة

1. **تقرير تشيلكوت2016 - (The Iraq Inquiry Report)**

- **الوصف :**التقرير الرسمي الذي استغرق سبع سنوات للتحقيق في دور بريطانيا في حرب العراق (2003-2011). وهو الوثيقة الأكثر شمولاً وتدميراً لدور توني بلير.
- **أبرز الاستنتاجات المتعلقة ببلير:**
  - الذرائع القائمة على **أسلحة الدمار الشامل كانت مبالغًا فيها** ولم تكن هناك "تهديدًا وشيكًا" كما زُعم.
  - تم **تجاهل البدائل السلمية** للحرب.
  - تم اتخاذ القرار **"قبل استنفاد الخيارات السلمية."**
  - تم التخطيط لفترة ما بعد الغزو بشكل **"غير كافٍ على نحو يبعث على الأسى."**
- **الأهمية :**يثبت التقرير بشكل قاطع أن بلير قاد بريطانيا إلى حرب بناءً على تبريرات مضللة، مما أسفر عن عواقب كارثية على العراق والمصداقية البريطانية. وهو حجر الزاوية لفهم أحد أكبر إخفاقاته.

2. **مذكرة داونينغ ستريت2002 - (The Downing Street Memo)**

- **الوصف :**محضر اجتماع سري لرؤساء أجهزة الاستخبارات البريطانية مع توني بلير في يوليو 2002.
- **أبرز الاقتباسات" :**كان الرئيس بوش مصممًا على غزو العراق... لكن **الوقائع والذكاء كانا يتم تعديلهما ليتناسبا مع السياسة."**
- **الأهمية :**تكشف هذه المذكرة أن القرار بالحرب قد اتخذ بالفعل في واشنطن ولندن قبل أشهر من الذهاب إلى الأمم المتحدة، مما يناقض الرواية العامة التي مفادها أن الحرب كانت الملاذ الأخير.

3. **تقرير مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان حول اليمن**

- **الوصف :**تقارير دورية توثق انتهاكات القانون الدولي في النزاع اليمني.

- **الأهمية :**تبرز هذه التقارير التناقض الصارخ بين دور بلير كمستشار لتحالف تقوده الإمارات والسعودية (الذي تتهمه التقارير بارتكاب انتهاكات) وخطابه حول "القيم" و"الإصلاح."

4. **التقارير المالية لمعهد توني بلير(TBI)**

- **الوصف :**البيانات المالية السنوية للمعهد (متاحة جزئيًا).
- **الأهمية :**على الرغم من عدم شفافيتها الكاملة، فإنها تظهر اعتماد المعهد الثقيل على تمويل من حكومات مثل الإمارات والسعودية، مما يثير تساؤلات حادة حول استقلالية وتضارب المصالح.

الملحق 4: شبكة المصالح (رسم بياني توضيحي)

الرسم البياني يوضح العلاقات بين:

1. **معهد توني بلير (TBI) (المركز)**

- الوظيفة الرسمية: تقديم "استشارات" حول الحوكمة، الإصلاح الاقتصادي، مكافحة التطرف.
- التمويل: يتلقى مبالغ طائلة من حكومات (مثل الإمارات، السعودية، الكويت).

2. **الحكومات العربية (العملاء/الممولون)**

- **الإمارات العربية المتحدة :**ممول رئيسي. يتلقى TBI استشارات حول السياسة الاقتصادية والأمنية. في المقابل، يحصل النظام على شرعية دولية ووصول.
- **المملكة العربية السعودية :**ممول رئيسي (عبر صندوق الاستثمارات العامة). يتلقى مشورة حول رؤية 2030. يحصل النظام على غسيل للسمعة ووصول.
- **الكويت ودول خليجية أخرى :**عملاء آخرون.

3. **مراكز القوى الغربية (الوجهة والشركاء)**

- **البيت الأبيض / وزارة الخارجية الأمريكية :**يعمل TBI كقناة اتصال غير رسمية. يترجم مصالح الحكومات الخليجية إلى خطاب مقبول في واشنطن، والعكس بالعكس.

- **وزارة الخارجية البريطانية / أجهزة الاستخبارات :(MI6)** علاقات تاريخية وشبكة اتصال TBI .يستفيد من هذه الشبكات لتقديم خدمة "الوصول."
- **مراكز الأبحاث واللوبيات في واشنطن :(Think Tanks & Lobbies)** TBI يتعاون معها لتشكيل الرأي العام وصناعة السياسات لصالح عملائه.
- **الشركات متعددة الجنسيات :**قد تتقاطع مصالحها مع سياسات "الإصلاح الاقتصادي" التي يروج لهاTBI ، مثل فتح الأسواق وخصخصة القطاعات.

العلاقات (الأسهم في الرسم البياني):

- **سهم (أموال / تمويل) من الحكومات العربية إلى.TBI**
- **سهم (استشارات / غسيل سمعة / شرعية) من TBI إلى الحكومات العربية.**
- **سهم (وصول / تأثير / تواصل) بين TBI ومراكز القوى الغربية (ذو اتجاهين).**
- **سهم (توجيه سياسات) من مراكز القوى الغربية) عبر (TBI إلى الحكومات العربية.**

الاستنتاج من الرسم البياني:

يوضح الشكل كيف يعمل TBI كـ **محور مركزي** (a hub)في شبكة معقدة. فهو ليس مستقلاً، بل هو **وسيط** يسهل تدفق الأموال والوصول والتأثير بين الحكومات العربية ومراكز القوة الغربية. هذه الشبكة هي الآلية الحديثة لممارسة النفوذ وتوجيه السياسات دون مسؤولية مباشرة.

....

كلمة ختامية

ها قد أوشكنا على ختم هذا المؤلَّف، ولكن الرحيل بين دفتيه ليس إلا بداية لرحلة تأمل أعمق. لقد حاولنا أن نسلط الضوء على التحوُّل من الاستعمار التقليدي إلى استعمارٍ جديدٍ أكثر دهاءً، يحمل وجوهاً براقةً وعباراتٍ جذابة، لكنه في جوهره يستهدفُ سيادة الأمم ويستنزفُ مقدراتها.

توني بلير ليس مجرد شخصيةٍ منعزلة، بل هو نموذجٌ لآلةٍ أكبر تعمل في صمت، تُعيد إنتاج الهيمنة بأدوات العصر: عقود الاستشارات، وشبكات النفوذ، وخطاب الإصلاح الزائف. إنها معركة وعي قبل أن تكون معركة سياسة أو اقتصاد.

فهل ندرك هذه الآليات الخفية؟ وهل نعمل على بناء مؤسساتنا الوطنية وتقوية كفاءاتنا المحلية لنتحرر من وصاية "الخبراء" و"المستشارين"؟

أسئلة نتركها قيد البحث والتأمل، لأن الوعي هو أول خطوات المواجهة.

وشكراً

قلمٌ يبحث عن الحقيقة

....

تم بحمد الله

كتب للمؤلف

م	اسم الكتاب	موضوع الكتاب	عدد الصفحات	عدد الكلمات
1	أحاديث الحب النبوية	كتاب شرعي في الحديث النبوي جمعت فيه 40 حديثا عن الحب النبوي مع التخريج والشرح	78	21ألف
2	الأربعين الخيرية	كتاب شرعي في الحديث النبوي جمعت فيه 40 حديثا تبدأ بكلمة خيركم مع التخريج والشرح	158	52ألف
3	خواطر مسجدية "السيرة"	دروس مسجدية مختصرة من السيرة النبوية	39	8000
4	خواطر مسجدية في التفسير	دروس مسجدية مختصرة في تفسير الآيات التي يقرأها الأئمة كثيرا في الصلوات	85	21ألف
5	مختصر أحاديث الأدب النبوي	اختصار كتاب الأدب النبوي للدكتور فيصل البعداني يحوي 50 حديثاً	100	25ألف
6	شرح الأربعين العلمية	شرح أربعين حديثا في فضل العلم والعلماء	84	24ألف
7	مشكلات وحلول من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم	استراتيجيات وتطبيقات على العصر الحديث من المشكلات التي حلها النبي صلى الله عليه وسلم .	60	12ألف
8	هل يحل القرآن مشكلتي؟	خمسون مشكلة حياتية : توضيح الأسباب والحلول من القرآن الكريم	117	21ألف
9	فلسفة البلاء والابتلاء	كيف نصل لمرحلة رضي الله عنهم ورضوا عنه	225	26500
10	السبعة الكبار	تعريف مختصر بالصحابة السبعة الأكثر رواية للحديث النبوي	21	4000
11	الأربعين النبوية	جمع وتخريج وشرح 40 حديثا يتحدث فيها النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه	75	20ألف
12	30خاطرة للتراويح	دروس من شهر رمضان والصيام والآداب الإسلامية والصدقة وعيد الفطر	35	8600

م	اسم الكتاب	موضوع الكتاب	عدد الصفحات	عدد الكلمات
13	لطائف وفرائد قرآنية	تأملات في عجائب مطالع السور القرآنية	تحت (المراجعة)	
14	الذكاء الاصطناعي وأطفالنا	مستقبل الأبناء مع الذكاء الاصطناعي وكيف نوجههم ونرعاهم ونبسط لهم مجالاته	92	14ألف
15	الصبر الإداري	يتحدث الكتاب عن الصبر في مجال العمل والوظيفة ونقل الخبرات بين المدير والمرؤوسين الموظفين	(تحت (المراجعة)	
16	الأسر المنتجة تمكين وإبداع	100مشروع مدروس باختصار لتيسير حياة الأسر التي تريد العمل والإنتاج من داخل البيت	80	18ألف
17	حرب المخدرات	أفكار شعبية لمكافحة المخدرات والقضاء عليها في الجزائر	48	10آلاف
18	المدرب الجديد وإذابة الجليد	ألعاب وتمارين تدريبية تعاون المدربين الجدد	87	12ألف
19	تسويق المشاريع غير الربحية باحتراف	كتاب مهم جداً لتسويق المشاريع غير الربحية خلاصة سنوات من الخبرات العملية في كبرى المؤسسات الخيرية	69	14ألف
20	وداعا للبطالة	خاص بمحاربة البطالة وفتح طرق الرزق بمشاريع نوعية صغيرة ومتوسطة أمام الشباب الصاعد في الجزائر	78	22ألف
21	دليلك إلى الدخل القليل الدائم	استدامة الدخل والحرية المالية والحفاظ على المدخرات وتأمين المستقبل	63	12ألف
22	هل تريد أن تؤلف كتاباً ؟	نصائح نظرية وتطبيقية للكتاب والمؤلفين	38	7600
23	25 ستغير حياتك	25عادة موزعة على مناحي الحياة تضمن لك خير الدنيا والآخرة وتغيرك بسهولة	38	7500
24	ديون "قوافل" شعر	ديواني الشعري الأول	58	6500

م	اسم الكتاب	موضوع الكتاب	عدد الصفحات	عدد الكلمات
25	أسرار الكتابة الدرامية	كتاب لا يستغني عنه كاتب ولا مؤلف يبسط تحويل الأفكار إلى دراما وقصص وسيناريو	65	9600
26	حكايات مؤثرة	قصص مؤثرة وحكايات معبرة مجموعة من الانترنت	185	55ألف
27	المجموعة القصصية الأولى : حبات من سنبلة الفجر	مجموعة قصص قصيرة مميزة من تأليفي	27	6600
28	التمكين والشراكة	دليل ربط المؤسسات الأفريقية بالمنظمات الدولية	71	21500
29	مش قد الشيلة ؟	كتاب عن خطورة الإهمال في تحمل المسؤولية	85	15ألف
30	الخرس الأسري	المشكلة والحل لعدم وجود حوار عائلي	64	11500
31	الجزائر وحزام السافانا	دراسة جغرافية اقتصادية عن منطقة حزام السافانا في افريقيا	62	9600
32	دليلك المختصر إلى استثمار عقاري ناجح	كتاب مختصر لكل مستثمر عقاري في العصر الحديث	66	13ألف
33	أزمة ثقة	بين الممولين والمشاريع (كيف تكسب ثقة المستثمرين)	70	10000
34	بروتوكول المبادرات المجتمعية	دليل شامل لتصميم وتنفيذ المبادرات المجتمعية الفعالة	44	
35	ديون "سوانح" خواطر أدبية	في طور الإعداد		
36	ديوان شعر حبة غزل	في طور الإعداد		
37	ملخص 100 كتاب عن المرأة	في طور الإعداد		
38	جماليات التفسير	في طور الإعداد		

م	اسم الكتاب	موضوع الكتاب	عدد الصفحات	عدد الكلمات
39	مجموعة قصصية للأطفال	في طور الإعداد		
40	إصلاح النفوس	في طور الإعداد		
41	الإحسان بوابة السعادة	في طور الإعداد		
42	قنابل تحت الوسادة العربية	في طور الإعداد		
43	الإعجاز الأدبي في القصص القرآنية	في طور الإعداد		
44	سبع فوائد في الاسفار	في طور الإعداد		
45	قلوب صنعتني	في طور الإعداد		
46	الساتانات الخمس	في طور الإعداد		
47	المسرح المدرسي في عصر الروبوتات	في طور الإعداد		
48	مبادرة محلية تدريب منتهي بالتوظيف -- برج بوعريريج	في طور الإعداد		
49	هل صادقت حمارا؟	في طور الإعداد		
50	طرقات وطرقات سيرة ذاتية	في طور الإعداد		
51	الذكاء الاصطناعي في خدمة المعلم	في طور الإعداد		
52	رواية ظل على جدار الذاكرة	في طور الإعداد		

بـــــــــــــرجاء

إرسال أي استفسارات أو أسئلة للمؤلف مباشرة

أو طلب أي من كتب المؤلف مجانا كنسخة إليكترونية على الايميل أو الواتس أب

الجزائر : 00213673956106 - saadjabr@gmail.com

....

مع تحياتي: د. سعد جبر

عميد كلية الإعلام بجامعة باشن بأمريكا

استشاري التدريب المعتمد